# طوفان الأقصى

## الوجه الاخر للصراع

علاء فاضل الاسدي

# طوفان الأقصى

## الوجه الاخر للصراع

علاء فاضل الاسدي

# مقدمة

على مرّ التاريخ، عاش الشعب الفلسطيني صراعات متتالية، تجسدت في محطات مفصلية شكلت معالم هويته ونضاله. منذ مؤتمر كامبل بنرمان في أوائل القرن العشرين، حيث كانت الأفكار والمخططات تُحاك في الظلام لتقسيم الأرض والإنسان، بدأ الفصل الأول من قصة مأساة شعب يسعى للحرية والكرامة. تعكس تلك الفترة بداية التحديات التي واجهت الفلسطينيين، محاولات استعمارية لتفكيك الأرض وتغيير المعالم الثقافية والاجتماعية.

تتوالى الأحداث في مسار تاريخي مليء بالمآسي والانتصارات، فكل مرحلة تحمل في طياتها آلام الفقدان والأمل المتجدد. من النكبة إلى الاحتلال، ومن انتفاضة إلى أخرى، كان الشعب الفلسطيني دائمًا في قلب الصراع، يسعى للحفاظ على هويته وحقوقه.

ومع تواصل الأحداث حتى "طوفان الأقصى"، نجد أنفسنا أمام مشهد معقد، يتداخل فيه الألم بالأمل، اليأس بالإصرار. هذا الكتاب يسعى لتسليط الضوء على تلك المسيرة الطويلة، مستعرضًا الأحداث والوقائع التي شكلت تاريخ الشعب الفلسطيني. نغوص في أعماق الصراع، نبحث عن الجذور والأسباب، ونسلط الضوء على التضحيات التي قدمها هذا الشعب الذي لا يزال يقاوم من أجل حقه في العودة والحرية.

هنا، نقدم للقارئ نظرة شاملة على الصراع الفلسطيني، مستندين إلى الحقائق التاريخية، والشهادات الحية، والرؤى المستقبلية. عسى أن تكون هذه الصفحات بمثابة دعوة للتفكير والتأمل في مسألة إنسانية تلامس قلوب الجميع، وتؤكد على ضرورة العدالة والسلام في أرض عانت طويلاً من ويلات النزاع.

يعود الصراع الفلسطيني إلى أوائل القرن العشرين، حين بدأت الحركة الصهيونية تسعى لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، مما أدى إلى تصاعد التوترات بين السكان العرب واليهود. كان مؤتمر كامبل بنرمان عام ١٩٠٧ نقطة انطلاق لمشاريع استعمارية تهدف إلى تقسيم المنطقة، حيث تم طرح أفكار تهدف إلى تسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

في عام ١٩٤٨، شهد العالم النكبة الفلسطينية، حيث تم تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين من أراضيهم، وتأسيس دولة إسرائيل. هذا الحدث كان علامة فارقة في تاريخ الشعب الفلسطيني، حيث فقد الكثيرون منازلهم وأراضيهم، وبدأت رحلة اللجوء التي لا تزال مستمرة حتى اليوم.

مرت القضية الفلسطينية بمراحل مختلفة من المقاومة، بدءًا من الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧، التي شهدت تزايدًا في النشاطات الشعبية ضد الاحتلال، وصولًا إلى الانتفاضة الثانية في عام ٢٠٠٠، والتي كانت أكثر عنفًا ودموية. هذه الانتفاضات لم تكن مجرد ردود فعل على الاحتلال، بل كانت تعبيرًا عن الهوية الفلسطينية ورغبتها في التحرر.

مع مرور الزمن، واجه الفلسطينيون تحديات جديدة، من بينها الاستيطان المستمر، والانقسام السياسي بين الفصائل، والحصار المفروض على غزة. ومع ذلك، لا

يـزال الشـعب الفلسـطيني يحـتفظ بالأمـل في تحقيـق حقوقـه المشـروعة، ويواصـل النضال من أجل السلام والعدالة.

تـأتي أحـداث "طوفـان الأقصـى" كفصـل جديـد في هـذا الصـراع المسـتمر، حيـث تجـددت المواجهـات بـين الفلسـطينيين والقـوات الإسـرائيلية، ممـا أثـار ردود فعـل محليـة ودوليـة. هـذه الأحـداث تمثـل ذروة التـوترات الحاليـة، وتسـلط الضـوء علـى الصراع الدائم من أجل الهوية والحقوق.

إن تـاريخ الشـعب الفلسـطيني هـو تـاريخ مـن الصـمود والمقاومـة، وهـو يعكـس الإرادة القويـة لشـعب يسـعى إلـى تحقيـق العدالـة. مـن خـلال دراسـة هـذه الأحـداث والتغيـرات، نكـون قـادرين علـى فهـم أعمـق للصـراع، وآمـال الفلسـطينيين في مسـتقبل أفضـل. هـذا الكتـاب لـيس مجـرد سـرد تـاريخي، بـل هـو دعـوة للتضـامن والمناصـرة، ولإبقاء القضية الفلسطينية حية في ضمير الإنسانية.

علاء فاضل الاسدي

# إسرائيل الكبرى

تستند فكرة "إسرائيل الكبرى" إلى بعض النصوص التوراتية التي يشير إليها بعض اليهود باعتبارها تعبيراً عن الوعد الإلهي المقدم للنبي إبراهيم عليه السلام. يُعتقد أن هذا الوعد يمنح نسله حق امتلاك أرض شاسعة تمتد بين نهرين.

غالبًا ما يُستشهد بهذا الوعد لتبرير الطموحات التوسعية لإسرائيل، ولتبرير الاعتداءات على العرب والفلسطينيين وتهجيرهم من أراضيهم ومناطقهم التاريخية.

ومن بين النصوص الأساسية التي تستند إليها هذه الفكرة هو ما ورد في سفر التكوين في التوراة، حيث يُقال:

"في ذلك اليوم عقد الله ميثاقًا مع إبراهيم قائلاً: سأعطي نسلك هذه الأرض من وادي العريش إلى النهر الكبير، نهر الفرات. أرض القينيين والقنزيين، والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين".

على الرغم من ذلك، يظل هناك اختلاف بين الفقهاء اليهود والسياسيين الإسرائيليين حول كيفية تفسير هذا الوعد. فبينما يتفق الجميع على أن "النهر الكبير" المشار إليه هو نهر الفرات، يظل هناك جدل حول هوية "وادي العريش".

يرى البعض أن وادي العريش هو ذلك المعروف في شبه جزيرة سيناء، في حين يعتقد آخرون أن المقصود هو نهر النيل في مصر.

ومن المثير للاهتمام أن فكرة الصهيونية بمعناها الديني لم تكن من صنع اليهود وحدهم، بل ساهم في تشكيلها المسيحيون، وخاصة من البروتستانت. هذه الفكرة الدينية للصهيونية كانت جزءاً من رؤى دينية وسياسية أوسع امتدت عبر التاريخ، مما أضاف تعقيدات كبيرة إلى الصراع المستمر في المنطقة.

من الجدير بالذكر أن تأثير هذه الرؤى الدينية يتجاوز الأبعاد الروحية إلى التأثير بشكل كبير على القرارات السياسية والجغرافية في المنطقة. فكرة "إسرائيل الكبرى" ليست مجرد مفهوم ديني، بل أصبحت أداة سياسية يُستخدمها البعض لدعم مشاريع التوسع ولإضفاء شرعية على عمليات الاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

هذا التفسير للنصوص التوراتية يولد الكثير من الجدل والنقاش، ليس فقط بين اليهود أنفسهم والسياسيين في إسرائيل، بل أيضًا بين العلماء والمؤرخين وحتى بين السياسيين الدوليين. إذ أن هذه الرؤى تُعتبر من العوامل المحفزة للصراع العربي الإسرائيلي، وخصوصًا عندما تُستخدم كذريعة لفرض سياسات استيطانية أو عسكرية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الصهيونية كمفهوم لم تنشأ فقط من داخل المجتمع اليهودي، بل تأثرت أيضًا بالأفكار الصهيونية المسيحية التي نشأت في أوروبا وأمريكا الشمالية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. هذه الأفكار تبنت تفسيراً

دينيًا للتوراة يدعم عودة اليهود إلى "أرض الميعاد"، وهو ما أثر بشكل كبير على السياسات الدولية تجاه تأسيس دولة إسرائيل في القرن العشرين.

وبالتالي، فإن الفهم التاريخي والديني والسياسي لهذه القضايا له تأثير كبير على كيفية التعامل مع النزاع الفلسطيني الإسرائيلي اليوم. يتطلب هذا التعقيد التزامًا دوليًا جادًا لتحقيق السلام والعدالة في المنطقة، يتجاوز الاستناد إلى النصوص الدينية ليشمل الاعتراف بالحقوق التاريخية والقانونية للشعوب المقيمة في هذه الأراضي.

في أواخر العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، ظهرت مفاهيم وتأملات دينية عميقة تعرف بـ "الرؤية الألفية" وهي:

((معتقد إيماني ظهر بداية بين مسيحيين من أصول عبرية حافظوا من ديانتهم القديمة على ما يسمى بالماشيحية الزمنية وإلى التأويل الحرفي لنصوص الكتاب المقدس خاصة ما ورد في سفر رؤيا يوحنا))

اعتقدت هذه الرؤية بأن عودة الشعب اليهودي إلى أرض أجدادهم ستعجّل من مجيء المسيح الثاني ونهاية العالم كما نعرفه. ومن بين الشخصيات البارزة التي اعتنقت هذه الفكرة كان اللورد بري، الذي عاش في القرن التاسع عشر، والذي دعا وبشكل علني إلى عودة اليهود إلى فلسطين. كانت دوافعه دينية بحتة، مما يعكس حقيقة أن جذور الحركة الصهيونية نبتت بداية بين المسيحيين قبل أن يتبناها اليهود لاحقًا.

مع مرور الوقت، ظهرت شخصيات يهودية مؤثرة تبنت هذه الرؤية الصهيونية وبدأت بالترويج لها. من بين هؤلاء المفكرين كان ليون بنسكر وموسى هيس، الذي ألف كتابًا شهيرًا بعنوان "روما والقدس". لكن الأكثر شهرة وتأثيرًا بينهم كان ثيودور هرتزل، الذي نشر في عام ١٨٩٦ كتابه البارز "الدولة اليهودية". في هذا العمل، دعا هرتزل إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين كحل لإنهاء الاضطهاد الذي تعرضوا له في أوروبا.

ترجم هرتزل أفكاره إلى فعل ملموس من خلال تنظيم مؤتمر تاريخي في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٧.

في هذا المؤتمر، تم تحديد الهدف الأساسي للحركة الصهيونية، وهو إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي. نتج عن هذا المؤتمر تشكيل مؤسسات صهيونية عملت بجد لتعزيز الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتحقيق الأهداف السياسية للحركة، وهو ما أصبح يعرف بعودة اليهود إلى "أرض الميعاد".

وفي عام ١٩٤٨، تحقق ما كان يُعتبر حلمًا بعيد المنال، حيث أعلن اليهود عن قيام دولتهم على جزء من الأراضي التاريخية لفلسطين، محولين بذلك تطلعاتهم إلى واقع ملموس.

مع إعلان قيام الدولة في عام ١٩٤٨، حدث تحول جذري في واقع المنطقة، حيث تم تأسيس دولة إسرائيل على أراضٍ كانت جزءًا من فلسطين التاريخية.

هذا الحدث مثل تتويجًا لجهود استمرت لعقود طويلة من التخطيط والعمل الدؤوب من قبل الحركة الصهيونية. كان الإعلان عن الدولة تتويجًا لحلم طالما

راود اليهود في الشتات، والذين عانوا من الاضطهاد والتمييز في العديد من الدول الأوروبية.

ومع هذا الإعلان، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الشرق الأوسط، حيث أصبحت القضية الفلسطينية واحدة من أكثر القضايا تعقيدًا وحساسية في العالم.

أثار قيام دولة إسرائيل ردود فعل متباينة في الأوساط الدولية، فقد لاقى ترحيبًا من بعض الدول، بينما أثار اعتراضًا واستنكارًا من دول أخرى، خاصة الدول العربية المجاورة التي اعتبرت الإعلان تجاوزًا للحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني.

تلا الإعلان عن قيام الدولة سلسلة من الأحداث والصراعات التي لا تزال تلقي بظلالها على العلاقات الإقليمية والدولية حتى يومنا هذا. نشبت حروب وصراعات عديدة بين إسرائيل وجيرانها العرب، وكان للنزاع تأثيرات طويلة الأمد على السياسة والاقتصاد والثقافة في المنطقة.

ورغم كل التحديات والمعوقات، استمر السعي نحو إيجاد حلول سلمية للنزاع، حيث بذلت جهود دولية ومحلية لإنهاء الصراع وإحلال السلام في المنطقة. لكن السلام المستدام لا يزال هدفًا بعيد المنال، يتطلب تضافر الجهود والنيات الحسنة من جميع الأطراف المعنية لتحقيقه.

اليهود، منذ بداية تطلعاتهم، لم يكن هدفهم مقتصرًا على إقامة دولة على جزء ضئيل من أرض فلسطين فحسب، بل كان طموحهم يمتد لأبعد من ذلك بكثير. أحد أبرز صناع القرار في تاريخ إسرائيل، ديفيد بن غوريون، الذي شغل منصب أول رئيس وزراء لإسرائيل، قد أشار في أحد خطاباته الشهيرة إلى أن الخريطة

الحالية لفلسطين، التي تعرف بخريطة الانتداب، ليست الخريطة النهائية من منظور الشعب اليهودي. بل إن بن غوريون كان يؤكد أن هناك خريطة أخرى أكثر اتساعًا وأهمية في عقول الشباب اليهودي، وهي خريطة التوراة التي تشير إلى الوعد الإلهي بمنح إسرائيل الأرض الممتدة بين نهري دجلة والنيل.

وفي مقدمة الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل لعام ١٩٥٢، صرح بن غوريون بأن الدولة الإسرائيلية أقيمت فقط على جزء من أرض إسرائيل الكبرى، مشيرًا بذلك إلى أن تأسيس الدولة لم يكن تحقيقًا تامًا للحلم الصهيوني، بل كان مجرد خطوة على الطريق الطويل لتحقيق الطموحات الكبرى.

هذا التوجه يفسر، إلى حد كبير، استجابة إسرائيل السريعة لدعوة البريطانيين والفرنسيين للانضمام للهجوم على مصر في عام ١٩٥٦، بحجة أن النظام الناصري في القاهرة قد قام بتأميم قناة السويس، مما اعتبرته إسرائيل فرصة لتعزيز موقعها وتحقيق جزء من طموحاتها.

ورغم أن الظروف السياسية للواقع آنذاك، وكذلك توازنات الحرب الباردة، كانت أقوى من الطموحات الجامحة التي كانت تدور في أذهان القادة الإسرائيليين، إلا أن الدولة العبرية اضطرت للانسحاب بعد العدوان الثلاثي.

ومع ذلك، لم يغب الحلم عن أذهان القادة والحاخامات الإسرائيليين، الذين وجدوا في حرب عام ١٩٦٧ فرصة ذهبية لإحياء ذلك الحلم، واستغلال الظروف لتحقيق المزيد من الأهداف الاستراتيجية.

تلك الحرب، التي تعرف بحرب الأيام الستة، أتاحت لإسرائيل فرصة لتوسيع حدودها بشكل دراماتيكي، حيث تمكنت القوات الإسرائيلية من السيطرة على مناطق واسعة من الأراضي العربية، بما في ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان. هذا التوسع لم يكن مجرد تحقيق للأهداف العسكرية فحسب، بل كان خطوة كبيرة نحو تحقيق الرؤية التاريخية التي كان يسعى إليها قادة الحركة الصهيونية منذ عقود.

لقد كان الانتصار في حرب ١٩٦٧ بمثابة تأكيد على قدرة إسرائيل على فرض نفسها كقوة إقليمية مؤثرة، قادرة على تغيير المعادلات السياسية في المنطقة. كما أنه أعطى دفعة قوية للحلم الصهيوني في بناء "إسرائيل الكبرى"، وهو الطموح الذي ظل يراود القادة الإسرائيليين بشكل معلن أو غير معلن منذ تأسيس الدولة.

مع مرور الوقت، استمرت إسرائيل في تعزيز وجودها في الأراضي المحتلة، من خلال بناء المستوطنات وتغيير الواقع الديمغرافي والجغرافي لتلك المناطق. وقد أدى ذلك إلى تعقيد الجهود الرامية إلى تحقيق سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط، حيث بات الصراع مع الفلسطينيين والدول العربية المجاورة مرتبطًا بشكل وثيق بقضية الأراضي والسيادة.

في ظل استمرار التوترات والاختلافات الجوهرية بين الأطراف المعنية. إن الطموح الذي بدأ برؤية تاريخية لاستعادة "الأرض الموعودة" لا زال يلقي بظلاله على السياسات الإسرائيلية، ويؤثر بشكل كبير على مسار الأحداث في الشرق الأوسط.

تمكنت إسرائيل من فرض سيطرتها الكاملة على الأراضي الفلسطينية بعد احتلالها، وأيضًا ضمت الجولان وشبه جزيرة سيناء إلى قبضتها. بعد مرور شهر فقط على هذا الانتصار الكبير على الدول العربية، ظهرت حركة "أرض إسرائيل الكبرى"، وهي حركة شهدت مشاركة نشطة من السياسيين والمفكرين الصهاينة الذين دعوا إلى عدم التخلي عن المناطق المحتلة والسعي لتوطين اليهود فيها. هذه الحركة، بعد سنوات قليلة، تمكنت من ترك بصمة قوية في الساحة السياسية الإسرائيلية حيث شاركت في الانتخابات وحققت فوزًا كبيرًا بحصولها على ٣٩ مقعدًا، وهو ما اعتبر إنجازًا غير مسبوق لليمين الإسرائيلي منذ تأسيس الدولة الإسرائيلية.

وفيما بعد، وبعد النكسة التي لحقت بإسرائيل في عام ١٩٧٣، قررت القاهرة أن تتخذ خطوة جريئة لاستعادة مكانتها بعد خسارتها في عام ١٩٦٧. اندلعت حرب أكتوبر التي هزت أركان إسرائيل، حيث تمكن الجيش المصري، المدعوم من الدول العربية، من تحقيق نجاحات عسكرية هامة زعزعت الحلم الإسرائيلي في إقامة دولة كبرى. كانت هذه الحرب بمثابة نكسة لمشروع التوسع الإسرائيلي، لكنها في ذات الوقت ساهمت في زيادة عدد المؤيدين لليمين الإسرائيلي.

بحلول عام ١٩٧٧، تمكن اليمين، ممثلًا في حزب الليكود والذي كانت حركة "أرض إسرائيل الكبرى" جزءًا منه، من تحقيق انتصار تاريخي بالوصول إلى السلطة لأول مرة منذ قيام الدولة العبرية، متفوقًا على حزب العمل ذو الميول اليسارية. ومنذ ذلك الحين، أصبح من الواضح أن إسرائيل لن تتخلى عن الضفة الغربية مهما كانت الظروف، حتى لو اضطرت للخروج من سيناء بشكل مؤقت.

هذا الوضع دفع رئيس الوزراء مناحيم بيجن إلى السعي لتحقيق السلام مع مصر من خلال الانسحاب من سيناء، وذلك ليتمكن من التركيز على تعزيز موقفهم في الضفة الغربية، التي كانت تعتبر الخطوة التالية في مشروع التوسع الإسرائيلي.

وبينما كانت إسرائيل تسعى لتثبيت أقدامها في الضفة الغربية، كانت العلاقة مع مصر تتخذ منحى آخر، حيث أدرك مناحيم بيجن أن السلام مع مصر يمكن أن يحقق مكاسب استراتيجية طويلة الأمد لإسرائيل. لذا، تم التوجه نحو إبرام اتفاقية سلام مع القاهرة، تُوجت باتفاقية كامب ديفيد التي شهدت انسحاب إسرائيل من سيناء، مما أتاح لإسرائيل تركيز جهودها على الضفة الغربية وتكثيف النشاط الاستيطاني هناك.

هذا التحرك لم يكن مجرد خطوة تكتيكية، بل جزء من رؤية استراتيجية أوسع تهدف إلى تأمين الحدود الإسرائيلية وتعزيز السيطرة على المناطق ذات الأهمية الحيوية. في تلك الفترة، شهدت الساحة السياسية الإسرائيلية تحولات مهمة، حيث استطاع اليمين تكريس نفوذه وتعزيز مواقفه على حساب التيارات اليسارية، مستفيدًا من الدعم الشعبي المتزايد الذي جاء كرد فعل على الأحداث الإقليمية والدولية.

ومع مرور الوقت، أصبحت الضفة الغربية محورًا رئيسيًا للسياسة الإسرائيلية، حيث تم تكثيف الجهود لبناء المستوطنات وتوسيعها، وذلك ضمن إطار رؤية تهدف إلى تغيير الواقع الديموغرافي والجغرافي في المنطقة. هذه التحركات، رغم ما أثارته من جدل وانتقادات دولية، كانت تعكس إصرار القيادة الإسرائيلية على تحقيق أهدافها الاستراتيجية وتشكيل مستقبل المنطقة وفق رؤيتها الخاصة.

في هذا السياق، واصل حزب الليكود تعزيز مكانته السياسية، مستفيدًا من التغيرات الديموغرافية والسياسية داخل إسرائيل، ليصبح لاعبًا رئيسيًا في صياغة السياسات الإسرائيلية تجاه الضفة الغربية، مما أتاح له تعزيز مشروعه التوسعي وضمان استمراريته على المدى البعيد.

رغم أن تل أبيب قد نفذت بالفعل اتفاقية كامب ديفيد التي أجبرتها على الانسحاب من سيناء، إلا أن التوجهات اليمينية داخل إسرائيل بدأت في وضع خطط للعودة إلى ما تعتبره "أرض الميعاد"، والتي تتضمن سيناء كجزء منها. عقب الاتفاقية، برز حزب جديد في الساحة الإسرائيلية يُعرف بـ "حزب كاخ"، أسسه الحاخام مائير كهانا، الذي كان مهووسًا بفكرة إقامة "دولة إسرائيل الكبرى".

سعى كهانا لتحقيق هذا الهدف بشكل فردي من خلال تهجير الفلسطينيين قسرًا من الضفة الغربية، مما دفع السلطات في تل أبيب لاعتقاله عام ١٩٨٠ بتهمة حيازة متفجرات وأسلحة لهذا الغرض. ومع ذلك، أُطلق سراحه بعد سبعة أشهر بقرار من رئيس الوزراء آنذاك، مناحيم بيجن، واستمرت حركة كهانا في النمو وجذب المزيد من الدعم الشعبي.

في عام ١٩٨٢، نشرت مجلة "كيفونيم"، التابعة لإدارة الإعلام في المنظمة الصهيونية العالمية، دراسة بعنوان "استراتيجية لإسرائيل في الثمانينات" بعد أسبوع من شهر يونيو. كتبت الوثيقة بواسطة أودي يونون، مستشار سابق لأريل شارون، وركزت على تحقيق الحلم اليهودي بإقامة دولة تمتد من نهر النيل إلى نهر

الفـرات. أشــارت الوثيقــة إلــى أن المنطقــة تتشــكل مــن خلــيط متنــوع مــن الأقليــات والطوائف، مما يمثل تحديًا لإسرائيل ولكنه أيضًا يوفر فرصة هائلة للاستغلال.

# خطة ينون

## (نظرية المؤامرة الصهيونية المزعومة للسيطرة على الشرق الأوسط)

في أعماق المجلدات السرية التي تحتفظ بها إسرائيل، تكمن وثيقة تحمل اسمًا غامضًا: "خطة ينون". هذه الوثيقة، التي تم الإطاحة بها من قبل المقاومة الفلسطينية المسلحة، وهي الآن بحوزة عناصر إيرانية.

تروي إحدى نظريات المؤامرة الأكثر تطرفًا وتعقيدًا في الشرق الأوسط. بموجب هذه النظرية، تم التجهيز لعمليات واستراتيجيات سياسية كبرى منذ الثمانينيات، تهدف إلى تحقيق حلم يهودي يتجاوز الحدود الجغرافية ويمتد إلى أبعد من الكتاب المقدس.

## الخلفية التاريخية

خطة ينون، تعود جذورها إلى الثمانينيات. في ذلك الوقت، كانت العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل متينة، وكانت الإدارة الأمريكية تسعى إلى تعزيز مصالحها في الشرق الأوسط. كان الهدف الأساسي هو السيطرة على الموارد الطبيعية، وخاصة النفط، والحفاظ على الاستقرار الإقليمي.

وفي هذا السياق، تم تبني خطة ينون من قبل أعضاء معهد الاستراتيجيات الصهيوني في الإدارة الأمريكية، والتي تهدف إلى تحقيق هذه الأهداف من خلال سلسلة من الأحداث السياسية والعسكرية.

# العناصر الرئيسية لخطة ينون

## غزو العراق والإطاحة بصدام حسين

كان غزو العراق عام ٢٠٠٣ من أبرز الأحداث التي تم تنفيذها وفقًا لخطة ينون. كان الهدف الرئيسي من هذا الغزو هو السيطرة على النفط العراقي، والإطاحة بنظام صدام حسين الذي كان يُعتبر عائقًا أمام السيطرة الأمريكية على المنطقة. وقد تم تصفية صدام حسين في عام ٢٠٠٦، مما أدى إلى تفكك العراق وخلق حالة من عدم الاستقرار التي استفادت منها القوى الإقليمية والدولية.

## تصفية ياسر عرفات

كان ياسر عرفات، رئيس السلطة الفلسطينية، من أبرز الشخصيات التي تم تصفيتها وفقًا لخطة يونون.

كان عرفات يُعتبر عائقًا أمام تحقيق الحلم اليهودي لدولة عبرية ممتدة. وقد تم الإطاحة به في عام ٢٠٠٤، مما أدى إلى تفكك السلطة الفلسطينية وخلق حالة من عدم الاستقرار في المنطقة.

## الحرب الأهلية السورية وصعود داعش

تم تحريض الحرب الأهلية السورية من أجل تفكيك النظام السوري وخلق حالة من عدم الاستقرار. وقد تم استغلال هذه الحالة من قبل داعش للظهور كقوة عسكرية قوية. كان الهدف الرئيسي من صعود داعش هو تفكيك النظام العربي القائم وخلق حالة من الفوضى التي تسمح بتنفيذ خطة يونون.

## تشكيل دولة عربية عبرية

كان الهدف النهائي من خطة ينون هو تشكيل دولة عربية - عبرية تمتد من النيل إلى دجلة والفرات، وتشمل مناطق غنية بالنفط والبترول، وكذلك مزارع مصر وواحات السودان ومسالك البحر الأحمر. كانت هذه الدولة تهدف إلى تحقيق الحلم اليهودي بدولة لا ينقطع نفطها وتشمل غالبية الشرق الأوسط.

ركزت "خطة ينون" على إضعاف الدول العربية من خلال إثارة الصراعات الطائفية والعرقية وتقسيمها كجزء من المشروع التوسعي الصهيوني. أشارت الوثيقة إلى أن "إسرائيل الكبرى" ستشمل أجزاءً من لبنان وسوريا والأردن والعراق ومصر والسعودية.

ورأت ضرورة تقسيم العراق إلى دولة كردية ودولتين عربيتين، واحدة للشيعة والأخرى للسنة، وكذلك تقسيم لبنان وسوريا ومصر وإيران وتركيا والصومال وباكستان ودول شمال أفريقيا إلى دويلات صغيرة تعتمد على إسرائيل في بقائها،

وقياداتها تكون منفصلة تمامًا عن مواطنيها، تقمع أي محاولات للتمرد، مما يحول المنطقة إلى كيانات ضعيفة وهشة لا تستطيع مواجهة إسرائيل، التي ستصبح القوة المهيمنة في المنطقة.

يمكن ملاحظة نتائج هذه الخطة في تلك الانقسامات الحادة التي شهدها لبنان، وكذلك في العراق بعد الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣. ما تبقى من الخطة، وفقًا لرؤية يونون، يشمل ثلاث دول من القائمة الأصلية:

لبنان، بالإضافة إلى الأردن ومصر والسعودية، ولا تزال هذه الدول تخضع لمحاولات تحقيق الأهداف التوسعية.

ورغم أن مصر نجت من تداعيات ما يسمى بالربيع العربي الذي مزق دولًا أخرى، فإنها تواجه تحديات داخلية بين الأقباط والمسلمين، حيث نشأت حركات متعددة تؤمن بالعنف كحل للأزمة السياسية. ومع ذلك، تمكنت القاهرة من التعامل مع هذه التحديات والمضي قدمًا. أما الأردن، الذي يُعتبر أكثر استقرارًا، فإنه يبقى هدفًا محتملاً للأطماع التوسعية الإسرائيلية.

في ظل هذه الديناميات الإقليمية، تبقى المنطقة العربية عرضة لتأثيرات هذه المخططات التوسعية والاضطرابات الداخلية، حيث تسعى القوى المختلفة إلى فرض نفوذها وتحقيق مصالحها. بالنسبة لمصر، فإن التحديات الداخلية تتطلب توازنًا دقيقًا بين القوى السياسية والاجتماعية للحفاظ على الاستقرار ومواجهة

الطموحات الخارجية. ومع ذلك، فإن قدرتها على التغلب على هذه التحديات تُظهر مرونة مؤسساتها وأهمية الإدارة الحكيمة في مواجهة الأزمات.

أما بالنسبة للأردن، فهو يواجه تحديات تتعلق بالأمن الإقليمي والضغوط الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن الأزمات المحيطة به، مثل قضية اللاجئين وآثار الصراعات في الدول المجاورة. ورغم استقراره النسبي، يظل الأردن في حاجة إلى دعم مستمر من المجتمع الدولي لضمان استقراره ومواجهة التحديات المستقبلية.

فيما يتعلق بالسعودية، فهي تسعى إلى تعزيز مكانتها الإقليمية والدولية من خلال مبادرات تنموية وإصلاحات اقتصادية، في ظل رؤية ٢٠٣٠ التي تهدف إلى تنويع الاقتصاد وتقليل الاعتماد على النفط. ومع ذلك، فإن التحديات الإقليمية، بما في ذلك التوترات مع إيران والتغيرات في سوق الطاقة العالمية، تتطلب استراتيجية مرنة ومتكيفة للاستجابة بفعالية لهذه المتغيرات.

# مؤتمر "كامبل بنرمان"

في عـام ١٩٠٥، قـام حـزب المحـافظين البريطـاني، بسـرية تامـة، بتنظـيم مـؤتمر لنـدن المعـروف باسـم مـؤتمر "كامبـل بنرمـان"، نسبة إلـى رئـيس الـوزراء البريطـاني آنـذاك، هنـري كامبـل بنرمـان. ضـم هـذا المـؤتمر القـوى الاسـتعمارية البـارزة في تلـك الفتـرة، وهي بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، إسبانيا، وإيطاليا.

استمرت جلسـات المـؤتمر ونقاشـاته حتـى عـام ١٩٠٧، بمشـاركة نخبـة مـن الفلاسـفة والمـؤرخين المرمـوقين، بالإضـافة إلـى علمـاء الاستشـراق والاجتمـاع والجغرافيـا والاقتصاد، وخبراء في مجالات النفط والزراعة والاستعمار.

شـارك في المـؤتمر شخصـيات بـارزة مثـل البروفيسـور جـيمس، صـاحب الكتـاب الشـهير "زوال الإمبراطوريـة الرومانيـة"، والبروفيسـور لـوي مـادلين، مؤلـف "نشـوء وزوال إمبراطوريـة نـابليون"، إلـى جانـب أسـاتذة مثـل ليسـتر، وسـميث، وتـرنخ، وزهـروف، وغيـرهم مـن العلمـاء البـارزين، بالإضـافة إلـى القـادة السياسـيين والعسكريين من الدول الاستعمارية.

افتـتح هنـري كامبـل بنرمـان المـؤتمر بخطـاب مطـول قـائلاً: "إن الإمبراطوريـات تتشـكل، وتتسـع، وتقـوى، وتسـتقر إلـى حـد مـا، ثـم تبـدأ في الانحـلال شـيئًا فشـيئًا حتـى تزول. التاريخ مليء بهذه التطورات، وهو لا يتغير بالنسبة لأي نهضة أو أمة.

فهناك إمبراطوريات مثل روما، وأثينا، والهند، والصين، وقبلها بابل وآشور، والفراعنة، وغيرها.

فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط الاستعمار الأوروبي وتدهوره أو تؤخر مصيره؟

فقد بلغ الآن الذروة، وأصبحت أوروبا قارة قديمة، استنفدت مواردها وشاخت مصالحها، بينما لا يزال العالم الآخر في بداية شبابه، يتطلع إلى المزيد من العلم والتنظيم والرفاهية. هذه هي مهمتكم أيها السادة، وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا".

بعد نقاشات مطولة، توصل المشاركون إلى أن "البحر الأبيض المتوسط يشكل الشريان الحيوي للاستعمار، ويمثل الجسر الذي يربط الشرق بالغرب، والممر الطبيعي إلى القارتين الآسيوية والإفريقية، وملتقى طرق العالم. كما أنه مهد الأديان والحضارات. لكن المشكلة تكمن في أن سكان شواطئه الجنوبية والشرقية يعيشون كشعب واحد تتوفر له وحدة التاريخ والدين واللسان".

ومن بين التوصيات التي خرج بها المؤتمر:

١. إبقاء شعوب المنطقة في حالة تفكك وجهل وتناحر، عبر حرمانها من الدعم واكتساب العلوم والمعارف التقنية، ومحاربة أي توجه لامتلاك العلوم التقنية.
٢. محاربة أي توجه وحدوي في المنطقة، وذلك من خلال إقامة دولة في فلسطين تعمل كحاجز بشري قوي ومعادٍ، يفصل بين الجزء الإفريقي والآسيوي من المنطقة، ويحول دون تحقيق وحدة هذه الشعوب (إسرائيل).

تم اعتماد النص النهائي من لجنة الاستعمار، والذي نص على: "يجب على الدول المعنية أن تعمل على استمرار تأخر المنطقة، وتجزئتها، وإبقاء شعوبها في حالة من التضليل والجهل والتناحر. وعلينا محاربة اتحاد هذه الشعوب وارتباطها بأي نوع من أنواع الارتباط الفكري أو الروحي أو التاريخي، وإيجاد الوسائل العملية القوية لفصلها عن بعضها البعض.

وكوسيلة أساسية مستعجلة ولدرء الخطر، توصي اللجنة بضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي، وتقترح لذلك إقامة حاجز بشري قوي وغريب "دولة إسرائيل" ليشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة".

استنادًا إلى توصيات هذا المؤتمر، تم توقيع اتفاقية سايكس بيكو في عام ١٩١٦، التي أعادت رسم حدود المنطقة وقسمتها بطرق جديدة لم تكن معروفة من قبل. ثم جاء وعد بلفور في عام ١٩١٧، ليبدأ زرع الكيان الصهيوني في قلب العالم العربي والإسلامي. ولا يزال العالم العربي والإسلامي يعاني من تبعات هذا المؤتمر حتى الآن، حيث تواصل الإمبريالية الغربية سعيها المستمر لتقسيم وتفتيت العالم العربي والإسلامي، بقصد إبقائه ضعيفًا، جاهلًا، ومفككًا، وغير قادر على الوحدة أو التقدم، ليظل تابعًا ذليلًا للإمبريالية الغربية.

بالنظر إلى أهمية مؤتمر "كامبل بنرمان" وتأثيره على تشكيل الجغرافيا السياسية في منطقة الشرق الأوسط، يعتبر هذا المؤتمر أحد الأسباب الرئيسية التي ساهمت في تغيير مسار التاريخ في تلك الحقبة. لقد وضع الأسس للعديد من السياسات

الاستعمارية التي استمرت لعقود، وكانت تهدف إلى السيطرة على الموارد الطبيعية وإبقاء المنطقة في حالة من التبعية والتجزئة.

يعتبر المؤتمر بوابة للتحولات الاستراتيجية التي كانت تهدف إلى ضمان استمرار السيطرة الغربية على المنطقة. ركزت النقاشات على كيفية استغلال الموارد الاقتصادية والطبيعية وضمان بقاء القوى الاستعمارية في موقع الهيمنة.

وكانت توصيات المؤتمر بمثابة خارطة طريق لتقسيم المنطقة جغرافيًا وسياسيًا، وهو ما تم تجسيده في اتفاقية سايكس بيكو التي قسمت الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ بين القوى الاستعمارية، مما أدى إلى خلق دول جديدة بحدود مصطنعة. وكانت فكرة إقامة دولة في فلسطين تهدف إلى خلق حاجز يفصل بين الدول العربية والإسلامية، مما يعيق أي حراك نحو الوحدة أو التضامن. وتمثل هذا في وعد بلفور الذي أيد إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

سعت السياسات التي نشأت عن المؤتمر إلى إضعاف الهوية الثقافية والوطنية لشعوب المنطقة. تم ذلك من خلال تعزيز الخلافات الطائفية والعرقية، والتدخل في الشؤون الداخلية للدول الناشئة.

كما أدى التركيز على إبقاء المنطقة في حالة من التخلف الاقتصادي إلى تأخر التنمية والبنية التحتية والتعليم. كانت هذه السياسات تهدف إلى ضمان اعتماد دول المنطقة على المنتجات والتكنولوجيا الغربية.

# النظام العالمي

في سياق الأحداث العالمية والإقليمية والفلسطينية، شهدنا تطورات مهمة تتعلق بالنظام الدولي الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥. تم تأسيس هذا النظام عقب انتهاء الحرب، مما أدى إلى تأسيس إسرائيل في عام ١٩٤٨، بناءً على قرار تقسيم فلسطين الذي اتخذته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧.

النظام الدولي الذي نشأ بعد عام ١٩٤٥ مر بمراحل مختلفة، بدءًا من الحرب الباردة وصولاً إلى الهيمنة الأمريكية الأحادية. ومع مرور الوقت، بدأت هذه الهيمنة الأحادية تتعرض لتحديات كبيرة، حيث أظهرت تصدعات واضحة في قدرتها على الاستمرار كإمبراطورية مهيمنة.

هذه التصدعات ليست وليدة اللحظة، بل هي نتيجة لسنوات من التغيرات التدريجية والملحوظة. الهيمنة الأمريكية والغربية المركزية، التي كانت تعتمد على الجيوسياسية والليبرالية الحديثة، باتت اليوم موضع شك كبير. السبب الرئيسي لذلك هو فشلها في تحقيق الأهداف الكبرى التي وعدت بها. الهدف الأول كان جعل الكوكب مكانًا آمنًا للبشرية، وهو ما لم يتحقق، إذ ما زلنا نواجه تحديات كبيرة ناجمة عن الطموح البشري الجامح الذي ولدته الرؤى الاقتصادية الرأسمالية الغربية.

علاوة على ذلك، فشل هذا النظام الدولي في تحقيق توازن حضاري يسمح بانتشار حضارة التعلم الغربية لتصبح حضارة عالمية. هذه الحضارة، رغم أنها مبنية على

قيم إنسانية مثل المساواة والعدالة وسيادة القانون، استخدمت كأدوات للهيمنة العالمية، مما أدى إلى شعور المجتمعات والشعوب بفقدان الخصوصية والهوية. تسبب هذا في ردود فعل مقاومة ضد الطغيان والاستبداد الغربي، مما وضع النظام الدولي في حالة أزمة وتناقض حقيقيين.

في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، شهدت فلسطين حدثًا مهمًا أحدث تحولاً كبيرًا في العلاقات الدولية والنظام العالمي. ذلك اليوم أظهر للعالم تغيرات حيوية توضح أن الوضع الدولي لم يعد كما كان. النظام العالمي الحالي يمر بمرحلة من الاضطراب والتحول، حيث لم تتضح بعد ملامح النظام الجديد، لكن من المؤكد أن النظام السابق في تراجع.

عادةً ما تكون عملية تغيير الأنظمة الدولية بطيئة وتدريجية وليست مفاجئة، حيث يبدأ النظام القديم بالانحدار بينما يظهر نظام جديد في الأفق دون وضوح كامل لمعالمه. هذه الفترة الانتقالية تقدم فرصًا كبيرة للشعوب التي لم تكن تمتلك تقليديًا مراكز القوة والنفوذ. إنها فرصة للمجتمعات المهمشة والطبقة الوسطى، وللشباب من جميع أنحاء العالم، بما في ذلك إفريقيا وآسيا والأميركتين والعالم العربي.

هذا التغيير يمنح الشعوب فرصة للابتعاد عن النظام الليبرالي الغربي الذي قد يصبح أحيانًا مستبدًا وديكتاتوريًا، محاولًا تغيير التقاليد المتجذرة في ثقافاتنا المتنوعة ومجتمعاتنا. الحدث في فلسطين يتجاوز في تأثيره العديد من الأحداث التاريخية، إذ يعيد التركيز على القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ وحتى الانتفاضة

في ١٩٨٧ ، التـي قادتهـا منظمـة التحريـر الفلسـطينية وفصـائلها المختلفـة، إلـى جانـب الأنظمة السياسية والدول العربية مثل مصر وغيرها.

يشير هـذا التطـور إلى إمكانيـة إعـادة تشـكيل الواقـع الفلسـطيني والـدولي بطـرق تمكـن الجهـات المختلفـة مـن التـأثير والمشـاركة في صـياغة المسـتقبل، بعيـدًا عـن السـيطرة التقليدية.

# غزة

تبدأ قصة غزة في السابع من أكتوبر٢٠٢٣، وهي قصة تتوازى مع قصة فلسطين بشكل عام، وتندرج ضمن سياق قصص الاستعمار والمحتلين عبر العصور، وقصة الظلم التي تأبى أن تتلاشى. غزة، التي تُعتبر ابنة التاريخ، تجسد معاني ومآسي طويلة الأمد. لقد وصفها ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان" بأنها "مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر"، مشيرًا إلى ارتباطها بالمرأة صور التي شكلت الساحل. تمتد حدود غزة عبر التاريخ، حيث تتراوح من نهر الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية.

رغم أن المدينة شهدت تسميات عديدة عبر العصور، من الكنعانيين الذين أطلقوا عليها "هازات"، والعبرانيين الذين أسموها "عزة"، وحتى الفرس الذين عَرفوها باسم "هازات"، فإن اسم "غزة" ظل هو السائد، كما أشار إليها المصريون القدامى بعبارة "غدات"، وهو ما يتكرر في المعاجم اليونانية التي تصفها بـ "إيونية". كما غزاها المسلمون العرب، واستمر اسم "غزة هاشم" بالارتباط بمدينة غزة، تأكيدًا لعلاقتها بتاريخ العرب حيث توفي هاشم جد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام فيها، ليعزز هذا الارتباط عبر العصور.

عبر القرون، لم تنفك غزة عن هويتها، بل واصلت المقاومة والنضال لتبقى جزءًا لا يتجزأ من خارطة العرب والمسلمين. فقد كانت مدينة غزة منذ البداية مركزًا ثقافيًا

وحضاريًا بارزًا، حيث احتضنت الفلاسفة والعلماء والشعراء، وازدهرت فيها أدب المعاني والفنون، مما جعلها تُعتبر منارة للعلم والفكر.

في قرونها الذهبية، كانت غزة محطة تجارية حيوية تربط بين الشرق والغرب، وسوقًا مزدهرًا يعكس تنوع ثقافات عديدة. هذه الهوية الغنية تعززت بفضل انفتاح المدينة على الحضارات المتنوعة، بدءًا من الفراعنة وصولًا إلى الفتوحات الإسلامية.

وتمثل غزة أيضًا مكانًا للعدالة والتضامن، حيث شهدت العديد من الثورات والانتفاضات التي تبرهن على إصرار سكانها على تحقيق العدالة. على الرغم من التحديات التي واجهتها، لم تفقد غزة أرواح أسلافها، بل استمرت في تقديم نافذة للحياة، حيث يظل الأمل مشعًا في قلوب أبنائها.

وفي عصرنا الحالي، لا تزال غزة تلهم الكثير من المؤرخين والباحثين الذين يسعون لتوثيق تاريخها العريق وصمودها أمام التحديات. ومن يرغب في التعمق في هذا التاريخ، يُنصح بقراءة كتاب عارف العارف "تاريخ غزة"، الذي شغل منصب قائم مقام غزة، والذي يعد مصدراً ثرياً يروي قصص الأمل والمقاومة والتحدي في وجه الظلم.

عارف العارف، ذلك المؤرخ الفذ الذي كرس جهوده لتوثيق صفحات التاريخ المشرق والمؤلم لمدينة غزة، حيث تقلد منصب قائم مقام المدينة. في كتاباته الغنية بالتفاصيل، يتناول العارف تاريخ هذه المدينة العريقة بدءًا من العصور السحيقة،

مـرورًا بفتـرة الاحـتلال البريطـاني. تبـدأ رحلتـه السـردية قبـل السـابع مـن أكتـوبر، موضـحًا احـتلال البريطـانيين لغـزة في السـابع مـن نـوفمبر عـام ١٩١٧، وكيـف اسـتمروا في فرض سيطرتهم حتى مايو ١٩٤٨.

ويصـف المـؤرخ مصـطفى الـدباغ تلـك الحقبـة بأنهـا شـهدت مقاومـة عنيـدة مـن كـل قـرى ومـدن وبـدو لـواء غـزة ضـد السـلطة البريطانيـة. خـلال انتفاضـة ١٩٢٩، انسـحب اليهود وانعزلوا، مما فتح الباب لعهد جديد بدأ منذ عام ٢٠٠٧.

تـاريخ غـزة يمكـن تلخيصـه في عنـاوين عـدة منهـا "غـزة، شـوكة في خاصـرة إسـرائيل"، و"غــزة، الغصــة التــي تــؤرقهم"، و"غــزة، الرايــة المرفوعــة أمــام الدولــة العبريــة"، و"غــزة، الشـبح الـذي تلاحقـه إيـران". أصـبحت غـزة مركـزًا للصـراعات، حيـث تفجـرت الحـروب بـدءًا مـن ديسـمبر ٢٠٠٨، تلتهـا حملـة "الرصـاص المصـبوب" في نــوفمبر ٢٠١٢، المعروفــة بــ "عمــود الســحاب"، ثــم حــرب "الجــرف الصــامد" في ٢٠١٤، والهجمــات المدفعيــة والصــاروخية الإســرائيلية في ٢٠١٩، وأخيــراً عمليــة "سيف القدس" في ٢٠٢١.

وقـد خلفـت هـذه الحـروب آلاف الضـحايا والجرحـى مـن أبنـاء غـزة. ورغـم شراسـتها، لــم تكــن ذات نطــاق شــامل، بــل كانــت تســتهدف بشــكل محــدود معاقبــة بعــض المناطق، مما يعكس تعقيد الصراع المستمر الذي يعيشه أهل غزة.

في خضم جولات الصراع المتكررة التي شهدتها المنطقة من عام ٢٠٠٧ حتى عام ٢٠٢١، لم تنجح الحروب في تحقيق الأهداف التي كانت تُعلن عادةً، مثل القضاء على حركة حماس أو وقف إطلاق الصواريخ على إسرائيل. بل على العكس، استمرت حماس في السيطرة على غزة واستمرت الصواريخ بالانطلاق، بل وأصبحت أكثر تطورًا وقوة.

توجهت أنظار العالم نحو حي الشيخ جراح في القدس، حيث شهدت المنطقة توترات واشتباكات بين أهالي الحي والمستوطنين، مما أدى إلى تصاعد الأوضاع بشكل دراماتيكي. تزامن ذلك مع اعتداءات على المسجد الأقصى، مما دفع حركة حماس إلى التدخل دفاعًا عن المسجد كما أعلنت.

خلافًا لما كان متوقعًا، جاءت الأحداث في عام ٢ مفاجئة لحماس، حيث تفاجأ قادتها باندلاع عدد أكبر من المعارك المحدودة التي انتهت سريعًا. اجتمع القائد العام لحماس يحيى السنوار وقائد كتائب القسام محمد الضيف في جلسات سرية لوضع خطة محكمة، لم يُطلع عليها إلا عدد قليل من القادة المقربين. كانت الخطة تتميز بالسرية التامة وأبقيت تفاصيلها طي الكتمان حتى السابع من أكتوبر.

عند حلول هذا الموعد، تم استدعاء المقاتلين بشكل مفاجئ، وكأن الأمر مجرد تدريبات عادية. صدرت التعليمات شفهية، وبدأت الأوامر بالانتقال من قادة الكتائب إلى قادة الفصائل ثم إلى قادة الفرق. الأوامر كانت واضحة: "أحضر أسلحتك وذخيرتك وتجمع في مواقع محددة". تم تنفيذ هذه التعليمات بفعالية وسرعة.

أولـى التعليمـات كانـت تتعلـق بكيفيـة الـدفاع عبـر الفجـوات التـي سـيتم إنشـاؤها في السياج المحيط بغـزة. هـذا التوجه الجديـد تسبب في خسـائر مادية كبيـرة، واعتُبـر أحـد أهـم أسـباب السـعادة لـدى الشـباب المشـاركين. تزايـدت الأعـداد لتشـمل آلاف المقاتلين، بما في ذلك عناصر من حركة الجهاد الإسلامي.

وسط هـذه الفوضـى، تـدفق المـدنيون مـن غـزة، مـدفوعين بـردود فعـل بطيئـة مـن قـوات الأمـن. تـم تحديـد ثـلاث مهـام رئيسـية للوحـدات المختلفـة: دعـم العناصـر العسـكرية التـي تعـاني مـن نقـص الأفـراد، الـدفاع عـن المواقـع، ونقـل الأسـرى عبـر الفجـوات إلـى مجمع الأنفاق في غزة.

# الصدمة

في السابع من أكتوبر، تلقى رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، رسالة في منزله بقيساريا تفيد بوقوع هجوم. استغرقت استجابته الأولية ساعتين ونصف حتى وصل إلى مقر الحكومة في تل أبيب. بعد مضي خمس ساعات على الحدث، نشر نتنياهو أول مقطع فيديو له تحت عنوان "نحن في حالة حرب"، وكان يبدو مذهولاً وهو يضع مساحيق التجميل الثقيلة ويعلق دبوس العلم الإسرائيلي على ياقة سترته، بينما بدا جفنه الأيسر متدليًا، وأحد حراسه يقف خلفه في حالة من عدم الاستقرار.

اجتمع نتنياهو مع وزرائه عند الساعة ٢:٤٥ بعد الظهر، أي بعد مرور أكثر من ثماني ساعات على وقوع الهجوم، واستمر الاجتماع لمدة ساعتين. وبعد مرور أكثر من خمس عشرة ساعة على الهجوم، خرج نتنياهو في الساعة ١٠:٢٠ مساءً ليخاطب الإسرائيليين. كان الهجوم هائلاً ومفاجئًا بشكل لم تستوعبه إسرائيل، وربما حتى حركة حماس التي أفاد بعض مسؤوليها بأنهم تفاجأوا أيضًا بالمدى الذي استطاعوا التقدم فيه داخل إسرائيل وحجم التأثير الذي أحدثه الهجوم.

وسط هذه المفاجأة، كان العالم يترقب الأحداث، متسائلاً عن الخطوات القادمة، وردود الفعل، وما الذي جرى، والأهم من ذلك، كيف حدث ذلك؟

بدأت الحكومات حول العالم بإصدار بيانات الإدانة للهجوم، مؤكدة على دعمها لإسرائيل وحقها في الدفاع عن نفسها. في الوقت نفسه، عقد مجلس الأمن التابع

للأمم المتحدة اجتماعًا طارئًا لبحث التطورات المتسارعة وتأثيراتها المحتملة على استقرار المنطقة.

على الصعيد الداخلي، شهدت إسرائيل حالة من الارتباك والتوتر، حيث دعا العديد من السياسيين وقادة الرأي إلى تحقيق فوري في فشل الاستخبارات في التنبؤ بالهجوم، مطالبين بمحاسبة المسؤولين عن هذا التقصير. وعلى الجانب الآخر، بدأ الجيش الإسرائيلي في التحضير لرد قوي، حيث تم استدعاء آلاف الجنود الاحتياط وتجهيز الوحدات العسكرية لشن عمليات محتملة ضد مواقع تابعة لحركة حماس في غزة.

وفي غزة، كانت الأجواء مشحونة بالتوتر، حيث توقع السكان تصعيداً عسكريًا وشيكًا. في حين أدانت بعض الدول العربية الهجوم، دعت أخرى إلى ضبط النفس وإيجاد حل سلمي للأزمة المتصاعدة.

# طوفان الأقصى

في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، كان تاريخًا محفورًا في ذاكرة الفلسطينيين. انطلقت عملية "طوفان الأقصى" التي جلبت معها آمالًا وتحديات جديدة. بعد سنوات من الحصار والمعاناة في قطاع غزة، تمكن الفلسطينيون من تجاوز الجدار الحديدي الذي عزلهم عن العالم الخارجي.

باكتمال هذه العملية، كانت الحياة في غزة تستعد لمنعطف حاسم، حيث تبرز الأمل وسط فصول الألم. سجل التاريخ بداية فصل جديد في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، فصل يمثل قفزة نحو الحرية. ومع تصاعد التوترات، بدأت الأنظار تتوجه نحو تأثير هذه الأحداث المستقبلية.

شملت عملية "طوفان الأقصى" هجومًا بريًا غير مسبوق نفذه آلاف المقاتلين من فصائل المقاومة. تمكن هؤلاء المقاتلون من اختراق عشرات القواعد العسكرية والمستوطنات الإسرائيلية التي تم إقامتها في منطقة غزة منذ عام ١٩٤٨.

استخدمت الفصائل استراتيجيات مبتكرة لجذب انتباه العالم وتوجيه رسائل مفادها أن الفلسطينيين لن يستسلموا أو ينسوا حقوقهم. كان التأثير كبيرًا، حيث ارتفعت حصيلة الضحايا إلى أكثر من ١٠٠٠ إسرائيلي، بما في ذلك نحو ٣٧٠ جنديًا وعنصرًا أمنيًا. السيناريوهات المتعددة أثرت بعمق على أمن إسرائيل وأحدثت زعزعة كبيرة في الجبهة الداخلية.

عقب الهجوم، كانت هناك ردود فعل متباينة من المجتمع الدولي. قوبل الهجوم بدعوات للتهدئة من بعض الدول، بينما ساد شعور بالتضامن مع الفلسطينيين في مناطق أخرى من العالم. استخدم الناشطون هذا الحدث كفرصة للتأكيد على ضرورة إيجاد حل عادل وشامل للصراع.

طغت المشاعر القوية على الساحة الدولية، حيث دعا العديد إلى الخوض في حوار شامل يستند إلى حقوق الإنسان. في خضم هذا المناخ المتوتر، بدأت الأسئلة تطرح حول تداعيات العملية على مجمل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وتأثيرها على تطلعات السلام المستدام في المنطقة.

مع مرور الأيام، فرضت عملية "طوفان الأقصى" نفسها كفرصة تاريخية، واختبرت الإرادة السياسية للمجتمع الدولي في التعامل مع قضايا توتر جديدة. على الرغم من الصعوبات والتحديات القائمة، ظلت قلوب الفلسطينيين تتوق للحرية والسلم.

كان من الواضح أن هذه العملية لم تكن مجرد هجوم عسكري، بل كانت انعكاسًا لطموحات وآمال أمة كاملة. بينما يتجه العالم نحو رؤية تطورات جديدة، يبقى الأساس هو الاعتراف بحقوق الفلسطينيين وحقهم في تقرير مصيرهم. ولعل موقف المجتمع الدولي قد يتغير، ولكن الأمل في الحرية سيظل حيًا في ضمير الأجيال المقبلة.

في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، انطلقت عملية "طوفان الأقصى"، حيث تمكن الفلسطينيون من اختراق الجدار الحديدي الذي حاصرهم في قطاع غزة لسنوات. لم تكن هذه الغارة الأولى التي تشنها فصائل المقاومة، لكنها كانت الأعنف في تاريخ المواجهة مع مشروع القسام.

شملت العملية هجومًا بريًا نفذه آلاف المقاتلين الذين اخترقوا عشرات القواعد العسكرية والمستوطنات الإسرائيلية في منطقة غزة المحتلة منذ عام ١٩٤٨، المعروفة بغلاف غزة. وأسفرت هذه العملية عن مقتل أكثر من ١٠٠٠ إسرائيلي، بينهم نحو ٣٧٠ جنديًا وعنصرًا أمنيًا، بالإضافة إلى أسر نحو ٢٥٠ شخصًا إلى قطاع غزة.

الاختراق جاء مفاجئًا للعالم، رغم أنه كان مسبوقًا بسلسلة مناورات عسكرية علنية وتهديدات من فصائل المقاومة بعد تصعيد الخروقات الإسرائيلية. يبقى السؤال حول سبب تأمين الإسرائيليين لجانب المقاومة قبل العملية وكيف تمكنت المقاومة من اختراق الجدار الحصين بسهولة في صباح ذلك اليوم، وأين فشلت الاستخبارات الإسرائيلية.

العملية التي يبدو أنها كانت مُعَدّة منذ أكثر من عامين تضمنت مراحل متعددة من الرصد والاستطلاع والمراقبة والعمل الاستخباراتي، ما يجعلها ربما أكبر عملية في تاريخ الصراع العربي- الصهيوني. في الأيام التي تلت الهجوم، تم تسريب مقاطع

فيديو وثقها المقاومون، والذين استشهد معظمهم خلال العملية. وقد تم تحليل هذه اللقطات لإعادة بناء الحدث ساعة بساعة.

مع الفجر، تلقى مقاتلو القسام تعليمات بمهمة جديدة، دون معرفة تفاصيلها. توجّهوا إلى الحدود حيث نقاط التجمع المحددة. لاحظ رئيس الشاباك، رونين بار، حركات غير عادية على الحدود مع غزة دون معرفة طبيعتها. ورغم التحذيرات، قرر مسؤولو الاستخبارات التعامل مع التحركات باعتبارها تدريبات مقاومة جديدة.

جمعت الوحدة ٨٢٠٠ معلومات تشير إلى أن حماس كانت تستعد لشيء ما، لكن التحليل لم يكن مقنعًا بما فيه الكفاية. برغم ذلك، يبدو أن المقاومة كانت تستعد بالفعل لعملية كبيرة وبدأت بإطلاق مكثف للصواريخ باتجاه أهداف إسرائيلية في الساعة ٦:٢٥ مساءً.

العمليات الأمنية المتقدمة التي كانت في طور التنفيذ، أو أن الترتيبات الأمنية الإسرائيلية لم تكن على مستوى التهديدات التي واجهتها. يبدو أن الهجوم المفاجئ كان معدًا له بعناية فائقة، حيث تم تنسيق الجهود بين مختلف الفصائل الفلسطينية لتحقيق أقصى قدر من الفعالية في الاختراق.

من الناحية التكتيكية، استندت العملية إلى عنصر المفاجأة والتخطيط الدقيق، بدءًا من التمهيد بإطلاق الصواريخ المكثف لشل الدفاعات الإسرائيلية، مرورًا بالهجوم

البـري المـدعوم بالمعـدات المتطـورة مثـل الطـائرات المسـيرة المسـلحة والطـائرات الرباعية، وانتهاءً بالعمليات البحرية التي استهدفت قواعد رئيسية على الساحل.

اسـتراتيجية "التعميـة" أو "التربيـع" التـي اسـتخدمتها المقاومـة كانـت تهـدف إلـى تعطيـل أنظمـة المراقبـة والاتصـالات الإسـرائيلية، ممـا سـاهم في خلـق حالـة مـن الفوضـى والارتبـاك لـدى القـوات الإسـرائيلية. هـذا الـنمط مـن العمليـات يعكـس مستوى عـالٍ مـن التخطـيط والتنفيـذ المتـزامن عبـر أكثـر مـن جبهـة، ممـا يبـرز فعاليـة التنظيمات الفلسطينية في تنفيذ عمليات معقدة متعددة الأبعاد.

رغـم النجاحـات التكتيكيـة التـي حققتهـا المقاومـة في هـذه العمليـة، إلا أن الأهـداف الاسـتراتيجية العامـة لـم تتضـح بشـكل كامـل، ممـا يثيـر تسـاؤلات حـول الخطـوات التاليـة للمقاومـة وكيـف سـتتعامل إسـرائيل مـع هـذا التحـدي غيـر المسـبوق في المسـتقبل. الوضـع الحـالي يتطلـب اسـتجابة دبلوماسـية وأمنيـة شـاملة مـن جميـع الأطـراف المعنيـة لتجنـب تصـعيد أكبـر قـد يـؤدي إلـى عواقـب وخيمـة علـى المنطقـة بأسرها.

لقـد بـدأت القـوى غيـر المنتميـة لكتائـب القسـام والفصـائل العسـكرية الفلسـطينية الأخـرى تتجـاوز مرحلـة المركزيـة في القيـادة والسـيطرة. لأول مـرة، اسـتطاع سـكان غـزة كسـر الحـاجز الـذي فصَـلهم عـن أراضـيهم المحتلـة منـذ النكبـة عـام ١٩٤٨،

خاصةً مع تطور الحاجز الإسرائيلي عبر ثلاثة عقود ليصبح جدارًا محصنًا بشكل متزايد.

ولكن كيف كان شكل الجدار قبل فيضان الأقصى؟ يوجد ارتباط دائم بين هذا الجدار ومشروع الاستعمار الصهيوني الذي سعى إلى استخدام الجدران كحلول. قبل عام ٢٠٠٦، كان تشييد الجدار في الضفة الغربية شبه مكتمل، وكان يُعتبر جدار الفصل العنصري هناك من أبرز الأحداث التي كادت أن توقف عمليات الاستشهاد في الأراضي المحتلة. في عام ٢٠٠٦، جاءت أول مواجهة مباشرة بعد فترة قصيرة من اختطاف الجندي الإسرائيلي في عملية "الوهم المتبدد"، حيث مثّلت هذه العملية أول اختراق للجدار في صورته الجديدة عبر نفق البداية. كما كانت هناك محاولات لاستخدام الأنفاق لتجاوز مثل هذه العقبات، ومع كل مواجهة مع غزة، كان هناك تراكم تدريجي للصهاينة في بناء الجدران.

وفي المقابل، طورت المقاومة تكتيكات لاختراق هذه الجدران أو الآليات المستخدمة لتجاوزها. لذا، لم يكن مفاجئًا أن يحدث في عام ٢٠٢٣ اختراق مشابه للجدار في غزة، مما دفع النظام الأمني الإسرائيلي للاعتماد بشكل مفرط على القوات الجوية والتكنولوجيا المتقدمة، مثل الذكاء الاصطناعي، على حساب القوة البشرية.

في نهاية عام ٢٠٢١، وبعد ستة أشهر من انتهاء معركة سيف القدس بقيادة حماس، أكمل الاحتلال بناء النسخة الجديدة من الجدار المحيط بقطاع غزة، بتكلفة تجاوزت المليار دولار. يتضمن الجدار منطقة محظورة وخطيرة داخل قطاع غزة، بعرض يتراوح بين ١٠٠ متر إلى متر واحد. في عام ٢٠١٤، بدأت كتائب القسام في بناء ما يُعرف بـ "طريق جكر"، وهو خط بري يحيط بكافة منطقة قطاع غزة، على بعد ٢٠٠ إلى ٢٥٠ مترًا من المناطق الحدودية، مما يعد أول خطوة للحد من المنطقة العازلة في غزة.

تزامنت مسيرات العودة مع تقليص المسافة مع الحدود. خلال هذه الفترة، شرعت كتائب القسام في إنشاء سلسلة من أبراج المراقبة على الجدار نفسه، والتي كانت في العديد من المناطق ملتصقة بالجدار أو قريبة جدًا منه. رافقت مسيرات العودة المحاولات الاستكشافية الأولى.

أما الجدار الجديد، فهو عبارة عن سياج ذكي مصنوع من الحديد والصلب، مجهز بأسلاك شائكة ترتفع لستة أمتار، ومدعوم بشبكة من الرادارات والكاميرات والمدافع الرشاشة التي تعمل عن بعد وتطلق النار تلقائيًا على أي حركة في المنطقة الحدودية. إلى جانب السياج، يوجد جدار خرساني آخر يمتد لأمتار تحت الأرض، يحتوي على أجهزة استشعار للكشف عن الأنفاق التي قد تصل إلى

محيط القطاع. يمتد طول الجدار إلى ٦٥ مترًا ويتخلله أبراج مراقبة على مسافات متقاربة، وفي حال تم اختراق هذا الجدار بأي شكل، هناك دائمًا خط خلفي من أبراج المراقبة مزودة بمدافع رشاشة تطلق النار تلقائيًا.

عند وصولهم إلى حدود غزة، وجدوا أن الحاجز يمتد على طول الحدود الفاصلة بين غزة والمناطق المحيطة. يتميز هذا الحاجز بوجود أسلاك شائكة يصل ارتفاعها إلى ما بين ٨ و١٠ أمتار في مناطق مختلفة. بالإضافة إلى ذلك، تم تركيب أجهزة استشعار ترسل إشارات إلى غرف القيادة العسكرية عند اقتراب أي شخص أو حتى حيوانات من الأسلاك. كما تراقب كاميرات وأجهزة استشعار أخرى المنطقة وتحذر عند اقتراب أي عدو محتمل.

بالنسبة للقائد العسكري، يمثل تجاوز هذا الحاجز تحديًا كبيرًا. المسافة بين الأسلاك الشائكة والجدار العازل، الذي يتكون من كتل إسمنتية عالية أو جدران زجاجية، تتراوح بين ٢٠ و٣٠ مترًا. يبلغ ارتفاع الجدار العازل من ٨ إلى ١٠ أمتار، ويمتد تحت الأرض بعمق يتراوح بين ٥ و٨ أمتار، مما يزيد من صعوبة تجاوزه تحت الأرض.

بالإضافة إلى ذلك، يراقب برج مراقبة المنطقة بشكل شامل، مما يجعل أي محاولة للتسلل أكثر تعقيدًا.

تـم تزويـد الطـائرات الآليـة بكـاميرات ليليـة تـدور بزاويـة ١٨٠ درجـة لكـل جانـب، ممـا يمنحهـا تغطيـة كاملـة بزاويـة ٣٦٠ درجـة، أي ١٨٠ درجـة أماميـة و١٨٠ درجـة خلفيـة. تبعـد هـذه الكـاميرات عـن الطـائرة بحـوالي ٣٠٠ متـر، وهـي مسـافة فعالـة تسـاهم في العمليـات. تعمـل هـذه الطـائرات بشـكل تلقـائي ويمكـن الـتحكم فيهـا مـن خـلال غرفـة العمليـات. عنـد اكتشـاف أي حركـة قـرب الأسـلاك الشـائكة، سـواء كانـت بشـرًا أو مركبـات أو كائنـات أخـرى، يبـدأ الرشـاش المـرتبط بالطـائرة في إطـلاق النـار تلقائيًـا على الهدف.

التحـدي الـذي يواجـه القائـد العسـكري هـو كيفيـة التغلـب علـى هـذا النظـام والوصـول إلى الهدف دون تحريك الأسلاك الشائكة. كيف يمكن تجاوز هذه العقبة؟

لتصـور الحـل، يجـب حسـاب عـرض الفتحـة التـي تسـمح بمـرور مركبـة، لـيس فقـط بالمتر بل أيضًا بفتح المجال لمرور السيارة بالكامل.

لكـل مشـكلة عسـكرية حـل. بعـد الحصـول علـى المعلومـات الاسـتخبارية الصـحيحة، تـم الاعتمـاد عليهـا لتنفيـذ العمليـة. أول مـا احتـاجوا إليـه هـو قـوة عسـكرية مدربـة جيـدًا، تتكـون مـن أفـراد متفـانين ومـدربين علـى مثـل هـذه المهـام. يجـب أن يكـون لـدى هـؤلاء الأفـراد خبـرة سـابقة في التعامـل مـع أهـداف مشـابهة، كمـا كـان الحـال في معركـة سـيف القــدس في عــام ٢٠٢١، والتــي قــدمت دروسًــا قيمــة يمكــن اســتخدامها في المعــارك اللاحقة، مثل معركة ٧ أكتوبر. هذه الدروس هي الأساس لهذه المعركة.

إذا كانت لديهم قوات مدربة وجاهزة لتولي المهمة على أهداف مشابهة، فلن يترددوا في التحرك. عقيد معتصم، الذي ترأس الجهاد الإسلامي في سيف القدس، كان يمثل القيادة الرائدة في تلك المعركة.

شهدت الفترة الأخيرة تزايدًا ملحوظًا في الاعتماد على مجموعة متنوعة من التقنيات الحديثة، بما في ذلك الطائرات بدون طيار والمدافع الرشاشة التي تعمل عن بُعد، والتي تم دمجها ضمن نظام أمني متكامل يتضمن شاحنة معدلة وأجهزة استشعار متنوعة مثل الأجهزة الحرارية والإلكترونية.

كما شملت هذه الجهود تحريك الحواجز تحت الأرض وفوقها، في إطار مشروع كبير بلغت تكلفته أكثر من مليار دولار. ولم يقتصر هذا الجهد على تعزيز الأمن البري فحسب، بل تم أيضًا توسيع نطاقه ليشمل البحر، حيث تم العمل على استكمال العقبة البحرية قبالة سواحل زيكيم. وذُكر أنه تم صب كميات ضخمة من الخرسانة تكفي لبناء طريق يمتد إلى بلغاريا، وإذا تم صهر الفولاذ المستخدم في البناء، فسوف يعادل جدارًا فولاذيًا يمتد حتى أستراليا.

في سياق هذه الجهود، تم تنظيم حفل رسمي للاحتفال بإكمال هذا الجدار، حيث أعرب وزير الجيش الإسرائيلي، بيني غانتس، عن فخره بهذا الإنجاز، مشيرًا إلى أنه يمثل رؤية وإبداع المؤسسة الأمنية، وأهمية التفوق على الأعداء بخطوة واحدة.

ومع ذلك، لم تدم فرحتهم طويلاً، إذ تمكنت خمس زوارق من اختراق العقبة البحرية بعد عامين فقط من إنشائها، مما أثار تساؤلات حول فاعلية تلك المشاريع الأمنية.

في تلك الأثناء، أُطلقت صواريخ القسام، بينما كانت طائرات شراعية تتدفق من السماء حاملة معها مقاتلين من القسام، مستهدفة ثلاث مواقع عسكرية: ناتيف عسر في الشمال الأقصى، كفار عزة في الشمال الشرقي، وقاعدة راعيم في الشرق. خلال الساعات الثلاث الأولى، تمكنت المقاومة من السيطرة على مساحات واسعة من غلاف غزة، حيث اقتحمت قاعدة تلو الأخرى حتى وصلت بعض وحداتها إلى مسافة كيلومترين.

استمرت الاشتباكات وسط عدم قدرة النظام الإسرائيلي على تنسيق الجهود بين وحدات الجيش، مما أتاح للمقاومة اقتحام القواعد العسكرية في غفلة من الجنود المناوبين. وقد تم تنفيذ عمليات الاختراق من الجو والبحر، على الرغم من بعض الخسائر في الزوارق، بينما نجح المقاتلون في تحقيق مكاسب على الأرض. ووفقًا للتقارير الإسرائيلية، تم اختراق ما لا يقل عن ست نقاط أساسية، ليرتفع العدد لاحقًا إلى أكثر من ٣٠ نقطة، ما أعقبته مواجهات عنيفة.

في اليوم السابع من أكتوبر، أُبلغ عن وقوع أكثر من ٣٠ معركة في تلك اللحظة التاريخية، حيث كانت بعض المواقع قد شهدت هدوءًا منذ عام ١٩٨٨، ولم يكن هناك مثل هذا الهجوم داخل إسرائيل منذ حرب ١٩٧٣ . وفي إطار الاستجابة للأحداث، أعلنت إسرائيل حالة الطوارئ العسكرية في تمام الساعة ١٧:١٧، وتم إغلاق مطار بن غوريون، الذي كان أحد الأهداف الرئيسية للمقاومة.

استمر الصراع في غزة، حيث استغرقت المعارك أحيانًا أكثر من ست ساعات قبل وصول التعزيزات من جيش الاحتلال لدعم القتال مع قوات النخبة. اشتدت المواجهات مع كتائب شايطيت ١٣ وباتاليون ٥١ غولاني، التي تكبدت خسائر كبيرة، تُقدّر بأنها تفوق ما فقدته في حروب ١٩٧٣ و١٩٦٧ في يوم واحد. ولقي عدد كبير من الجنود والمقاتلين حتفهم، بينما كانت الحصيلة تشمل أيضًا عددًا من المدنيين.

في الليلة التي سبقت الهجوم، شهدت قاعدة راعيم مهرجان السوبر نوفا الذي استقطب مئات العائلات، حيث أقيم حفل موسيقي استمر حتى صباح الهجوم. وأفادت الحكومة الإسرائيلية بأن نصف المدنيين الذين قُتلوا في الهجوم كانوا حاضرين في ذلك الحفل، وبلغ العدد الإجمالي للقتلى ٣٦٤.

وفقًا لوثيقة نُشرت في أوائل ٢٠٢٤، فإن المقاومة كانت غير مدركة لوجود الحفل الموسيقي، حيث تناولت الوثيقة بعنوان "هذه قصتنا: لماذا طوفان الأقصى؟" الالتزام بتجنب استهداف المدنيين، مشيرة إلى أن هذا يُعتبر واجبًا دينيًا وأخلاقيًا يتربى عليه عناصر حماس. بينما يُستهدف الجناح العسكري الاحتلال والجنود وكل من يحمل سلاحًا.

تجدر الإشارة إلى أن الأفراد المشاركين ليسوا وحدة واحدة رغم انتمائهم لفصيل عسكري، إذ إن تدريباتهم كانت متفاوتة، وقد يكون هناك بعض المدنيين الذين حملوا السلاح في مناسبات نادرة. ومن المحتمل أن تتضح المزيد من التفاصيل مع صدور بيانات من القسام والفصائل الأخرى، أو حتى من الجانب الإسرائيلي. وقد أُشير في بعض التقارير الصحفية إلى مثل هذه المسائل، التي من المتوقع أن تُعالج لاحقًا.

في سياق الأهداف العسكرية الإسرائيلية في غزة، تم التأكيد على أن الهدف هو القضاء على القسام والفصائل المسلحة الأخرى وتحرير الرهائن، بجانب جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الاستخباراتية للاستفادة منها في تحسين الاستجابة للعمليات المستقبلية. وفي وقت لاحق، كشفت تقارير من صحف إسرائيلية مثل "هآرتس" و"يديعوت أحرونوت" عن وقوع وفيات نتيجة الغارات الجوية الإسرائيلية بعد تدخل المقاومين والمشاركين في الحفل.

في ذات الموقع الجغرافي وفي مستوطنات قريبة من ريئيم، شهد السكان المدنيون إصابات غير مقصودة نتيجة النيران الإسرائيلية أو مواجهات مع مقاتلي المقاومة. وواصل المحتفلون وسكان المستوطنات المجاورة مناشدة القوات الإسرائيلية طيلة اليوم دون جدوى.

عند منتصف النهار، أذاعت وسائل الإعلام الإسرائيلية تقارير عن اقتحام حماس لمقر قيادة فرقة غزة التابعة للجيش الإسرائيلي، وهي القوة المسؤولة عن حماية الحدود مع قطاع غزة، الذي كان في مقدمة أهداف القسام خلال الساعات الأولى من الهجوم. على بعد حوالي ١٦ كيلومتراً من قطاع غزة، تقع قاعدة أركون السرية التابعة لوحدة التجسس ٨٢٠٠ بالقرب من قاعدة أوريم العسكرية. وقد كانت هذه الوحدة هدفًا لعشرة مقاتلين من قوات النخبة التابعة لكتائب القسام الذين تمكنوا من اختراق القاعدة والتنقل بين أجزائها وكأنهم يعرفون خريطتها مسبقًا.

كما تعرضت قاعدة نه العز، التي تعد قاعدة متقدمة في المراقبة، للهجوم. وقد أدى الاستيلاء عليها إلى فتح المجال للتوغل في عمق القاعدة ومواجهة القواعد الأخرى. الاستراتيجية الأكبر كانت تستهدف السيطرة على قاعدة ريئيم، مقر قيادة فرقة قطاع غزة.

وحـدة ٨٢٠٠، المتخصصـة في الاسـتخبارات الإشـارية، تركـز علـى التقـاط ومراقبـة الأحـداث، وخاصـة تلـك التـي يقـوم بهـا عناصـر القسـام في غـزة. تهـتم كثيـراً بالاسـتطلاع وتقـديم المشـورة لصـناع القـرار بشـأن الإجـراءات المناسـبة. ورغـم الاتهامـات الموجهـة لهـا بالتقصـير في مراقبـة وتقـديم المشـورة بشـأن النشـاط العسكري في غزة، يبدو أن العكس قد حدث.

فالمعلومـات الاسـتخباراتية التـي جمعتهـا المقاومـة كانـت دقيقـة لدرجـة أنهـا تمكنـت مـن مراقبـة موقـع الوحـدة واسـتهدافها في ٧ أكتـوبر. العمليـات التـي جـرت تنـدرج تحـت مـا يعـرف بالاسـتخبارات القتاليـة، حيـث يـتم اسـتخدام المعلومـات المتاحـة للتحضير لعمل عسكري محكم.

بعـد مـرور سـاعة تقريبـًا، وبعـد الخامسـة والنصـف مسـاءً، أعلنـت كتائـب القسـام سـقوط دفاعـات فرقـة غـزة بعـد أن تمكنـت مـن الوصـول إلـى كافـة قواعـدها واشـتباكها مـع القـوات الإسـرائيلية. اسـتطاع المقـاتلون السيطرة علـى مواقـع عسـكرية محصـنة، وتدمير دبابات ومركبات عسكرية كانت تعترض طريقهم.

وقـد أظهـرت الصـور الموثقـة لمجريـات المعركـة مقـاتلي حمـاس وهـم يسـتخدمون خـرائط ومعلومـات اسـتخباراتية دقيقـة، ممـا يثيـر التسـاؤلات حـول مسـار المقاومـة حتى ٧ أكتوبر وأسباب الضعف الظاهر في الجيش الإسرائيلي.

في الضفة الغربية، تتكرر عمليات اقتحام القوات الإسرائيلية لمدننا وقرانا، ما يؤدي إلى قتل وإصابة واعتقال العديد من المواطنين. يتزامن ذلك مع مصادرة الأراضي وبناء المستوطنات، واستمرار الحصار الجائر على قطاع غزة. في سياق احتفالات الأعياد اليهودية، تعامل الاحتلال مع الحدود مع غزة باستهانة، مما سهل تنفيذ هجوم حماس المفاجئ. التحقيقات التي أجرتها الصحافة الإسرائيلية أشارت إلى سلسلة من الإخفاقات الأمنية والعسكرية التي يتحمل قادتها المسؤولية عنها.

المشكلة لم تكن في نقص المعلومات، بل في جمعها وتحليلها وتقديمها لصناع القرار. ورغم تركيز الاحتلال على المقاومة المسلحة في الضفة الغربية، شهدت الأوضاع هناك تصعيداً في العمليات النوعية منذ عام ٢٠٢١، مما دفع الاحتلال إلى إعادة توزيع قواته بين غزة والضفة الغربية استجابةً للتحديات الأمنية المتزايدة.

في الضفة الغربية، تواجدت وحدات عسكرية، وفي الخطاب الصهيوني، يُناقش موضوع نقل جزء من الأسلحة التي كانت مخصصة لحماية المستوطنات بعد الانتهاء من بناء الجدار. يُقال إنه لم يعد هناك حاجة لهذه الأسلحة في المستوطنات، ويُفضل نقلها إلى الضفة الغربية لمواجهة المخاطر المحتملة. استمرار هذا الكيان في سياساته الحالية، من وجهة نظري، سيؤدي إلى تغيير جذري في الأرض، لأنه يشكل حربًا إقليمية ودينية قد تلتهم كل شيء. العالم الآن أمام فرصة للتحرك ومنع حدوث هذه الكارثة الكبرى.

نحـن مجهـزون تمامًـا ومسـتعدون للـدفاع عـن أنفسـنا، ولـن نتـردد في أداء واجبنـا، بـإذن الله. علـى جميـع فصـائل المقاومـة وأجنحتهـا العسـكرية، وخاصـة القيـادات، أن تكـون في حالة تأهب واستعداد دائم.

منـذ عـام ٢٠٢٠، تُجـرى منـاورات علنيـة في نهايـة كـل عـام بمشـاركة جميـع الفصـائل تحــت قيــادة كتائــب عــز الــدين القســام، كتائــب القــدس التابعــة لحركــة الجهــاد الإسـلامي، وكتائـب شـهداء الأقصـى، وغيرهـا. إحـدى هـذه المنـاورات البـارزة كانـت "الـركنين الشـديدين"، التـي نُفـذت بعـد شـهور مـن عمليـة "سـيف القـدس" في ٢٠٢١، وكانــت تتضــمن عمليــات دفاعيــة وهجوميــة، علــى عكــس "الــركن الشــديد"، التــي نُفـذت في العـام السـابق وكانـت دفاعيـة فقـط، محاكيـة وضـعًا يتخـذ فيـه العـدو موقفًـا هجوميًا.

في عـام ٢٠٢٢، تـم تنفيـذ منـاورة "الـركن الشـديد" ثـلاث مـرات في موقـع عسـكري جديـد يمثـل سـاحة لجميـع الفصـائل. أحـداث السـابع مـن أكتـوبر ٢٠٢٢ كانـت ممكنـة فقـط بسـبب التنسـيق والانضـباط بـين فصـائل المقاومـة تجـاه الأبعـاد الاسـتراتيجية. كانـت هـذه الأحـداث ستفشـل لـو كانـت هنـاك مقاومـة يوميـة تفـرض علـى الصـهاينة

استجابات يومية. هذا الاتجاه كان يشير إلى محاولة تهدئة الحساسيات الصهيونية، أي أنهم كانوا في حالة ترقب دائم لما إذا كان هناك حالة تأهب لدينا أم لا.

ثم جاءت الركائز الأربعة الشديدة قبل موعدها، والتي نفذتها المقاومة في خريف ٢٠٢٣، في تاريخ يذكر بهزيمة آخر جندي إسرائيلي في ٢٠٠٥. قبل أقل من شهر من عملية "طوفان الأقصى"، نفذت ١٢ فصيلاً مناورة تحاكي عمليات اقتحام وقصف وأسر جنود إسرائيليين وتدمير آليات التحول.

كان الصهاينة مقتنعين بأن حماس منظمة ردع وأن كتائب القسام مستعدة في أي اتجاه، أو أن جميع جهودها العسكرية موجهة نحو اتجاهات دفاعية مرتبطة بأبعاد أخرى تتجاوز مسألة المناورات.

واصلت عملية "قص العشب"، بمعنى أنه كلما رُصد تقدم عسكري من القسام أو عملية محتملة من القسام وفصائل أخرى، كانت هذه القدرات تُضرب لمنعها من التطور، واستُهدفت بعض القيادات في عمليات تشبه "قطع الرؤوس". بدا أن هناك قناعة بفعالية هذه الاستراتيجية في مقابل السماح ببقاء حماس دون الإطاحة بها كسلطة.

في السابع من أكتوبر، كان من المتوقع أن يُراقب الهجوم بالنظر إلى الترسانة المراقبة على طول الحدود. تم رصد حركة أمان من داخل قطاع غزة أكثر من مرة، وأبلغ الجنود ملاحظاتهم، لكن قادتهم استبعدوا الأمر وتجاهلوا التحذيرات.

أفـادت تحقيقـات موقـع صـحيفة يـديعوت أحرونـوت أن الاسـتخبارات الإسـرائيلية كانـت عمياء أمـام مشـاهد الـركن الشـديد، ثـم وثقـت شـكل الـرد على الخطـر المحتمـل في أروقة الشاباك وما كان غائبًا في السابع من أكتوبر.

في اليــوم التــالي، نفــذ جــيش الاحــتلال خطــة لإخــلاء عشــرات المســتوطنات والكيبوتسـات في قطـاع غـزة، أكبرهـا مسـتوطنة سـديروت. نشـرت قواتـه في مواقـع الهجـوم واشـتدت الاشـتباكات مـع المقـاتلين لأكثـر مـن ثلاثـة أيـام، بمـا في ذلـك اشـتباكات عنيفـة في كيبوتسـات حوليـت وسـوفا في الجنـوب، وكـذلك إنـزالات بحريـة على شواطئ زيكيم في الشمال.

أكـدت حمـاس أن مئـات مـن أعضـائها عـادوا إلـى قطـاع غـزة بأمـان وتـم اسـتبدالهم عـدة مـرات بمقـاتلين آخـرين، بينمـا أعلـن الجـيش الإسـرائيلي عـن تصـفية واعتقـال مئـات آخـرين. الهـدف الاسـتراتيجي لـي شخصـيًا لـيس واضـحًا. سـواء في هـذه الحـالات، الهدف الاستراتيجي هو تحرير الأرض.

تحريـر الأرض يتطلـب قـوة عدديـة أكبـر بكثيـر. القـوة العدديـة التي هاجمـت كانـت أقـل بكثيـر في البدايـة، ونُسـبت القسـام وتـم نقـل الاتجـاه. الأول جـاء ثـم قـدر الإسـرائيليون عددهم بـ ٣٠٠٠. هذا هو قوة اللواء.

لـم يـتمكن العـدو مـن مواجهـة مقاتلينـا في الميـدان لأكثـر مـن ٦٠ سـاعة حتـى الآن، رغـم امتلاكـه كافـة أدوات التكنولوجيـا العسـكرية والأمنيـة التـي حققتهـا العـالم وزودتـه بهـا

لقوات الجور والطغيان، وما زالت معاركنا مستمرة في العديد من المواقع. نحن ما زلنا نستبدل القوات في مواقع القتال، ونرسل التعزيزات بالأسلحة والمعدات والأفراد، ونأخذ أسرى.

رغم الإعلان عن استعادة الجيش الإسرائيلي للسيطرة على المنطقة بعد حوالي ٦٠ ساعة، أعلنت كتائب القسام عن استبدال مقاتليها في محور زيكيم-أشكلون ومحور سوفا في مساء ١٠ أكتوبر، أي بعد أكثر من ١٠٠ ساعة من انطلاق عملية "طوفان الأقصى".

أراد الصهاينة الإعلان أن هذه المنطقة أصبحت منطقة آمنة، لأن كل ساعة كانت تشهد قتالًا أو قتالًا إضافيًا كانت تعزيزًا لما حدث في السابع من أكتوبر، لذلك كان هناك حرص صهيوني مستمر على فكرة التأكيد على أن الأمور قد انتهت، أو أن هذه المناطق قد تم تطهيرها، لكن الأمر أكثر تعقيدًا. البعض، هنا من حيث المسافة، أقصد الهدف الاستراتيجي مجددًا.

البعض قد تحصن، بمعنى أن البعض لم يأخذ الرهائن فقط ويذهب ويعود، أو يدمر مثلاً القواعد العسكرية أو يهاجم العسكريين ويعود. لا، البعض دخل وتحصن في الأماكن. التحصن يعني السيطرة على المنطقة، وهذا يتطلب أعدادًا كبيرة ويتطلب أيضًا خط إمداد مؤمن. لم يكن هناك خط إمداد مؤمن. التحصن لم يكن يعني أنه كان عليه علامة استفهام. ربما كان هذا هو الخيار لبعض الوحدات.

أقصـــد، كـــان بالتأكيـــد تحصـــنًا، آخـــر عمليـــة لاســـتعادة الســـيطرة مـــن قبـــل القـــوات الإسرائيلية من جهة ومن جهة أخرى.

في الأيــام التــي تلــت هجــوم الســابع مــن أكتــوبر وعلــى مــدار الأشــهر، تبنــى الغــرب وإعلامــه الصــهيوني الهجــوم الــذي تــم تخصيصــه لاتهامــات بقطــع رؤوس الرضــع واغتصــاب النســاء في العاشــر مــن أكتــوبر. نشــرت الحســاب الرســمي لإســرائيل علــى منصــة X روايــة عــن مقتــل ٤٠ رضــيعًا في كيبــوتس فــار عــزة بنــاءً علــى تقريــر أعدتــه القنــاة الإسرائيلية E٢٤ ونقلت العدد عن جنود يعملون في الكيبوتس.

أشــارت التحقيقــات الإســرائيلية إلــى أن قصــة قتــل الأطفــال كانــت واحــدة مــن أشــهر هــذه الفبركــات، وفقًــا لمــا قالــه يوســي لانــدو، المتطــوع في منظمــة "زاك" غيــر الحكوميــة الدينيـــة التـــي تســـاعد في جمـــع جثـــث القتلـــى في ظـــروف غيـــر طبيعيـــة. وقـــال ســـكان كيبـــوتس بئيـــري لاحقًـــا، وفقًـــا للإعـــلام الإســـرائيلي، إنهـــم لـــم يعرفـــوا بقصـــة المـــرأة الحامل التي رواها لاندو.

وأكــدت شــرطة الدولــة المحتلــة نفــس الشــيء، قائلــةً إنهــم لــم يكونــوا علــى علــم بهــذه الحالة. تحدث لاندو أيضًا عن رؤية طفل أُطلق عليه النار وأُحرق.

أعتقـــد أن هـــذه الحـــرب تواجـــه مشـــاكل أساســـية في الخطـــاب الرســـمي أو خطـــاب المؤسســـة. كـــان هنـــاك ارتبـــاك واضـــح في الجـــيش الصـــهيوني في الســـابع مـــن أكتـــوبر، واســتمر هــذا الارتبــاك، وأصــبحت المعلومــات المضــللة جــزءًا مــن السياســة الرســمية

لاحقًا. نرى ذلك في التناقضات المتعلقة بالإعلان عن تفاصيل العمليات، والإعلان عن تفاصيل القتلى، والإعلان عن تفاصيل الجرحى، والتي تُكشف أحيانًا تدريجيًا من خلال الصحافة.

كانت مؤشرات مصداقية قصة المقاومة في هذه المرحلة أعلى بكثير من مصداقية القصة الصهيونية، وهناك العديد من المؤشرات والدلائل على ذلك. بالطبع، تسريبات كاميرات GoPro تثبت صحة هذا الأمر وصحة ما قدمته المقاومة منذ الأيام الأولى، والأدلة المختلفة، حتى ما هو متاح اليوم بين يدي.

تؤكد الصين مثل هذه القصة، وفقًا لسجلات الضمان الاجتماعي الإسرائيلية، التي تصور بدقة أكبر واقع ما حدث خلال اليوم. قُتل طفل واحد في كيبوتس بئيري، بينما في كفار عزة، قُتل ما مجموعه ٤٦ مدنيًا، كان أصغرهم يبلغ من العمر ١٤ عامًا، لكن بيانات الضمان الاجتماعي لا تسمح بتمييز عدد المدنيين الذين قُتلوا على يد القوات الإسرائيلية خلال المعارك لاستعادة الكيبوتسات والمدينة.

وفقًا للبيانات الإسرائيلية في العاشر من نوفمبر، قُتل ١٢٠٠ شخص في الهجوم الذي وقع في السابع من أكتوبر، من بينهم حوالي ٦٩٥ مدنيًا، لكن تداول الروايات الملفقة حول أحداث السابع من أكتوبر لم يتوقف، حيث كانت تغطيةً لعدوان لم تشهده غزة من قبل.

بدعم من الولايات المتحدة وحكومات غربية أخرى، تنفذ إسرائيل حرب إبادة من الجو وعلى الأرض ضد الغزيين، مما أسفر عن تدمير أسس الحياة في قطاع غزة المحاصر منذ ما يقرب من عقدين. في حين تضع إسرائيل أمام أعين العالم هدفًا مزعومًا لغزوها لقطاع غزة، وهو القضاء على حماس، يدعي جيش الاحتلال أنه سيحقق في تفاصيل اليوم السابع من أكتوبر وأسباب الفشل في الاستعداد له.

يجب وضع أحداث السابع من أكتوبر في سياقها الأوسع وتذكر حالات النضال من أجل التحرير من الاستعمار والاحتلال الأجنبي أو الفصل العنصري في العالم في التاريخ المعاصر. كل هذه تجارب تظهر إلى أي مدى كان هناك اضطهاد من قبل المحتل، مما سيجذب استجابة أقوى ومقاومة من الشعب تحت الاحتلال، واستمرار هذا الاحتلال يمثل تهديدًا للأمن والاستقرار العالمي.

خلال العملية، قُتل ما يقرب من ١٤٠٠ إسرائيلي، ما اعتُبر أكبر عملية توجيه ضد إسرائيل. العملية بقيت في طي الكتمان

تعدّ هذه وجهة نظر واحدة بين وجهات نظر متعددة، إلا أن الحقيقة تظهر بوضوح في غزة، حيث يقود المرحلة يحيى السنوار قبل استشهاده إلى جانب قادة حماس الذين خططوا ونظموا الأحداث المأساوية التي وقعت في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣. لا يزال العديد من التطورات المتعلقة بهذا اليوم محاطًا بالغموض. ومع

ذلـك، هنـاك أمـر ثابـت ومؤكـد، وهـو أن يـوم السـابع مـن أكتـوبر يُعتبـر نقطـة تحـول تاريخية في المنطقة، وستبقى آثارها واضحة على مر الزمن.

لقـد خلّفـت هـذه الأحـداث أثـراً عميقـًا في ذاكـرة الأجيـال، فحتـى ذكريـات الكبـار ستحتفظ بمـا جـرى، في حـين سـتبقى عقـول الأطفـال مشـبعة بتلـك التجربـة القاسـية. ومـا زالـت الـذاكرة السياسـية في العـالم وكتـب التـاريخ تسـلط الأضـواء علـى هـذه النازلـة، متحدثـة عـن مأسـاة فظيعـة وقعـت أمـام أعـين عـالم صـامت تجـاه مقتـل وجـرح وتشـريد الملايـين، في وقـت يـدعي فيـه النـاس بنـاء حضـارة إنسـانية تتجسـد فيهـا الأخلاق والقيم.

كمـا تكشـفت العديـد مـن الحقـائق وسـط مشـاهد آلام الأطفـال وصـراخ الأمهـات المكلومـات ودمـوع الرجـال. لقـد كانـت أحـداث السـابع مـن أكتـوبر بمثابـة اختبـار حقيقي لإنسانيتنا في مواجهة المعاناة.

# مجزرة مستشفى المعمداني

وفي السابع عشر من أكتوبر، صُدم العالم بقصف مستشفى المعمداني في غزة، مما أسفر عن مقتل أكثر من ٥٠٠ شخص في ضربة واحدة، مما أثار موجة من الإدانات الدولية.

حركة الجهاد الإسلامي متهمة بتنفيذ مجزرة المستشفى المعمداني نتيجة لإطلاق صواريخ غير ناجح، وفقًا لما أعلنه الجيش الإسرائيلي ورئيس الوزراء الإسرائيلي والرئيس الأمريكي. إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل يمكن اعتبار مجزرة المستشفى المعمداني نتيجة نيران صديقة؟

فور انتشار الخبر، بدأت العديد من الحسابات المرتبطة بالآلة الإعلامية الدعائية للاحتلال في نشر هذه الرواية حتى قبل الإعلان الرسمي عنها. من بين هذه الحسابات، نشر حنانيا نفتالي، المسؤول عن الحرب الإلكترونية في الجيش الإسرائيلي على وسائل التواصل الاجتماعي، تغريدة ذكر فيها أن القوات الجوية الإسرائيلية قصفت قاعدة إرهابية لحماس داخل مستشفى في غزة، مما أسفر عن مقتل عدد كبير من الإرهابيين، وأرفق صورة للمستشفى.

قام حنانيا بسرعة بحذف التغريدة واستبدالها بأخرى يظهر فيها مقطع فيديو للقصف الإسرائيلي على المستشفى، وكتب قائلاً: "قد يكون الأمر صاروخًا أصاب المستشفى عن

طريق الخطأ أو حدثًا متعمدًا لاستدرار الدعم الدولي". بعد سلسلة من التغريدات التي تكررت فيها رواية الجيش، تراجع عن تغريدته الأولى التي أقر فيها بقصف المستشفى، موضحًا أنه شارك هذه المعلومات بشكل خاطئ.

على الجانب الآخر، نشرت الحسابات الرسمية للجيش الإسرائيلي باللغة العربية تغريدة متزامنة ذكرت فيها أن الجهاد الإسلامي مسؤول عن انفجار الصاروخ في المستشفى المعمداني، مصحوبة بدليل مزعوم من تحليل الأنظمة العمليات الإسرائيلية. وسرعان ما تم حذف هذه التغريدة من جميع الحسابات بعد أن تبين أن الفيديو المستخدم كدليل يعود إلى ما بعد توقيت قصف المستشفى بساعة كاملة.

يبدو أن الرواية المقدمة تعاني من نقص في المصداقية. في ظل هذا الوضع، برزت قناة الجزيرة بفيديو جديد يظهر اعتراضًا في السماء بواسطة نظام القبة الحديدية، تلاه انفجار ثانٍ ووميض قوي، وبعد ثوانٍ قليلة وقع انفجار ثالث في موقع مختلف، والذي كان قصف المستشفى المعمداني. تبرز هنا ثلاث انفجارات: واحد في السماء واثنان على الأرض.

المسألة تتعقد مع نشر الاحتلال لما يدعي أنه دليل قاطع يتمثل في مكالمة مسجلة بين عنصرين من حماس، حيث يقول أحدهم: "تعالوا الجهاد الإسلامي". التعليق الوحيد على هذه المكالمة هو عدم تطابق اللهجة ونص الحديث مع الرواية

الإسرائيلية. هذه ليست المرة الأولى التي يدعي فيها الاحتلال أن صواريخ المقاومة مسؤولة عن المجزرة

ففي وقت سابق، قتل الجيش الإسرائيلي خمسة أطفال في مقبرة بمخيم جباليا، مدعيًا أن صواريخ الجهاد الفاشلة هي السبب، وأن الجيش لم يستهدف تلك المنطقة. بعد أيام، اعترف مسؤول في الجيش الإسرائيلي بمسؤوليتهم عن مجزرة الأطفال، ونشرت صحيفة هآرتس هذا الاعتراف.

القضية التي تتناول مجزرة المستشفى المعمداني في غزة تعكس تعقيد الصراعات الإعلامية والسياسية التي تصاحب النزاعات المسلحة. في مثل هذه الأحداث، تتداخل الحقائق مع الروايات المتضاربة التي يسعى كل طرف إلى ترويجها لتحقيق أهدافه الاستراتيجية والدبلوماسية.

إن الاتهامات الموجهة إلى حركة الجهاد الإسلامي بأنها المسؤولة عن الانفجار تستند إلى مزاعم الجيش الإسرائيلي وبعض مؤيديه الدوليين. إلا أن هذه الرواية تواجه تحديات كبيرة من قبل منظمات حقوقية ووسائل إعلام مستقلة، حيث يشير كثيرون إلى احتمال وقوع خطأ أو حتى استهداف متعمد من قبل القوات الإسرائيلية، خصوصًا مع السوابق التاريخية التي شهدت اعترافات إسرائيلية لاحقة بمسؤوليتها عن أحداث مشابهة.

التعقيد يزداد مع استخدام وسائل التواصل الاجتماعي كمنصة مركزية لنشر المعلومات والتضليل في ذات الوقت. في هذا السياق، يلعب المسؤولون عن الحرب الإلكترونية دورًا محوريًا في تشكيل السرديات العامة، وهو ما يتضح من خلال التغريدات المتناقضة التي أطلقها حنانيا نفتالي، والتي تمثل نموذجًا لكيفية تعامل الأجهزة العسكرية مع الأزمات الإعلامية.

# محور المقاومة

شهدت المنطقة العربية تحولات ميدانية معقدة، أبرزها تصاعد الصراع في اليمن في أوائل أكتوبر. فقد قامت جماعة الحوثيين بإطلاق ثلاثة صواريخ كروز وعدد من الطائرات المسيّرة، بينما اكتفى المحور العربي بإصدار بيانات الإدانة ودعوات لوقف الحرب. في هذه الأثناء، استمرت الولايات المتحدة في استراتيجيتها لتوسيع دائرة القتال، مع التأكيد على أن فتح جبهات جديدة قد يخفف من الضغوط المتزايدة عليها.

على صعيد آخر، كثفت إسرائيل من عملياتها العسكرية، مما أدى إلى ارتفاع عدد الضحايا الناتج عن الصراع إلى أكثر من عشرين ألف قتيل، معظمهم من الأطفال، مما دفع إيران لتبني موقف أكثر صرامة.

في الأول من نوفمبر، أعلن الحوثيون عن تكثيف عملياتهم في البحر الأسود، حيث استهدفوا السفن التجارية الإسرائيلية باستخدام الطائرات المسيّرة ومنظومة "هجران". وقد استدعى ذلك تشكيل تحالف من قبل واشنطن وحلفائها، أطلق عليه اسم "حراس الازدهار"، لمواجهة هذه الهجمات.

تزامن تصعيد إيران وحلفائها مع تكثيف إسرائيل لعملياتها الاستباقية، حيث نفذت غارة جوية على دمشق في أوائل ديسمبر ٢٠٢٣، بالتزامن مع إشراف الجنرال الإيراني رضا

موسوي على الوضع في غزة، التي شهدت انقطاعًا تامًا في الاتصالات لعدة أيام، مما تسبب في فرض عزل شامل.

في العاشر من يناير، نفذت إسرائيل غارة إضافية على دمشق، استهدفت القيادي الإيراني صادق أوميت زاده. بحلول الأول من فبراير، عززت تل أبيب عملياتها العسكرية لرصد مواقع الحرس الثوري الإيراني بهدف منع نقل الأسلحة المتطورة إلى حزب الله، بينما استمرت الضغوط على غزة، التي لا تزال تحت حصار طويل الأمد.

في فبراير، أسهمت الولايات المتحدة في تسهيل المساعدات الإنسانية إلى قطاع غزة بالتعاون مع إسرائيل، التي نفذت غارة جوية في دمشق أودت بحياة ١٦ ضابطًا إيرانيًا. رداً على ذلك، شنت إيران في الثامن من أكتوبر هجمات بالطائرات المسيّرة نحو الأراضي الإسرائيلية، لكن معظم هذه الهجمات تم التصدي لها وتدميرها قبل بلوغ أهدافها. ومع استمرار الضغوط العسكرية المكثفة على غزة، والتي أسفرت عن سقوط أربعة آلاف ضحية، جاء شهر يوليو مع تصعيد جديد بعد إرسال الحوثيين طائرات مسيّرة إلى عمق تل أبيب، مما أدى إلى وقوع إصابات في جنوب إسرائيل، تزامنًا مع استهداف ميناء الحديدة ومنشآت حوثية.

نتيجة لهذا التصعيد، تم اغتيال بعض الشخصيات البارزة بالتزامن مع إسماعيل هنية، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، في قلب طهران. وقبل ذلك، تم إسقاط طائرة كان على متنها الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي ووزير خارجيته إبراهيم عبد اللهيان، مما زاد من حدة التوتر في المنطقة.

عقب هذه الأحداث، بدأت إسرائيل باستخدام تقنيات متطورة لاستهداف القادة الإيرانيين، حيث تم تعقب مقاتلي حزب الله في بيروت باستخدام أجهزة عالية التكنولوجيا. أدى هذا الوضع إلى زيادة التوترات الاجتماعية، خاصة بعد بدء عمليات عسكرية محدودة في لبنان، مما أدى إلى تهجير بعض السكان، خصوصًا في ضاحية بيروت.

وفي رد على ذلك، أطلقت إيران عددًا من الصواريخ في محاولة لوقف التحركات الإسرائيلية. برأيهم، يعد الثبات الفلسطيني في أرضه أفضل من مئات خارج أو تحت الأرض. لذا، لا يوجد توافق حول جدوى الأحداث التي وقعت في السابع من أكتوبر، ولا توجد رؤية موحدة لهذه المقاومة.

هذا هو العام الذي شهد تخطيطًا مستمراً لتحقيق حلم إسرائيل للتخلص من غزة، التي ظلت تمثل تحديًا طويل الأمد لها، وهو ما اعتبرته فرصة للثأر بعد السابع من أكتوبر. كما أن هذه الأحداث كانت بمثابة دفعة لليمين في إسرائيل، مما ساهم في بقائهم في الساحة السياسية.

ننتقل الآن إلى قضية أخرى تتعلق بمدى ارتباط عملية "طوفان الأقصى" باغتيال قاسم سليماني، قائد فيلق القدس وأحد أبرز الشخصيات الإيرانية، أو بالتحليلات السياسية الأخرى التي تشير إلى أنها تأتي كضربة للأعمال الأمريكية الجارية في المنطقة، خاصة بعد إلغاء الاتفاق النووي مع إيران وفرض عقوبات اقتصادية عليها. ومن هنا، سعت إيران إلى إعادة ترتيب الأمور في المنطقة وقطع الطريق أمام الأمريكيين.

تعدّ هذه وجهة نظر واحدة بين وجهات نظر متعددة، إلا أن الحقيقة تظهر بوضوح في غزة، حيث يقود المرحلة في حينها يحيى السنوار إلى جانب قادة حماس الذين خططوا ونظموا الأحداث المأساوية التي وقعت في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣.

لا يزال العديد من التطورات المتعلقة بهذا اليوم محاطاً بالغموض، ومع ذلك، هناك أمر ثابت ومؤكد، وهو أن يوم السابع من أكتوبر يُعتبر نقطة تحول تاريخية في المنطقة، وستبقى آثارها واضحة على مر الزمن.

لقد خلّفت هذه الأحداث أثراً عميقاً في ذاكرة الأجيال، فحتى ذكريات الكبار ستحتفظ بما جرى، في حين ستبقى عقول الأطفال مشبعة بتلك التجربة القاسية. وما زالت الذاكرة السياسية في العالم وكتب التاريخ تسلط الأضواء على هذه النازلة، متحدثة عن مأساة فظيعة وقعت أمام أعين عالم صامت تجاه مقتل وجرح وتشريد الملايين، في وقت يدعي فيه الناس بناء حضارة إنسانية تتجسد فيها الأخلاق والقيم.

كما تكشفت العديد من الحقائق وسط مشاهد آلام الأطفال وصراخ الأمهات المكلومات ودموع الرجال. لقد كانت أحداث السابع من أكتوبر بمثابة اختبار حقيقي لإنسانيتنا في مواجهة المعاناة.

# أنفاق غزة

منذ سنوات طويلة، عانت غزة من وطأة الاحتلال الإسرائيلي، الذي لم يتوقع يومًا أن تصبح الأنفاق سلاحًا فتّاكًا في المواجهة. هذه الأنفاق، التي تشبه مدينة خفية تحت الأرض، أصبحت قادرة على إرباك حسابات الجيش الإسرائيلي والتسلل خلف خطوطه لتوجيه ضربات قاسية وقتما دعت الحاجة.

في وقت طوفان الاقصى، تستخدم الفصائل الفلسطينية هذه الأنفاق كسلاح استراتيجي مباشر، بينما تواصل إسرائيل أحلامها بتدمير هذه الشبكة تحت الأرض، متخيلة أنها ستصبح مقبرة للمقاومين. لقد تجاوزت الأنفاق منذ زمن كونها مجرد ممرات تحت الأرض، حيث أن عملية حفرها كانت تحديًا كبيرًا بسبب الحصار والمراقبة الشديدة.

تعتبر الأنفاق أسطورة في صراع العقول بين المقاومة الفلسطينية وقوات الاحتلال، وتواصل غزة العمل بسرية تامة تحت الأرض، وهو ما يثير خوف الجيش الإسرائيلي ويمنعه من شن عمليات اجتياح شاملة وبربرية على القطاع. إسرائيل جربت من قبل عمليات الاجتياح البري، لكن في كل مرة كانت الأنفاق هي العنصر المفاجئ، حيث يخرج المقاتلون الفلسطينيون فجأة، يشتبكون مع القوات

الإسـرائيلية، يقتلـون ويغنمـون، ثـم يختفـون كمـا لـو كـانوا أطيافًـا لـم تُرصـد أو تُسـمع أصوات أسلحتهم.

لمـن لا يعـرف القصـة الكاملـة لهـذه المدينـة الخفيـة تحـت غـزة، نـروي لكـم حكايتهـا منـذ أن كانـت مجـرد أنفـاق صـغيرة لا تتجـاوز قطرهـا بضـع سـنتيمترات، حتـى تطـورت لتصـبح مدينـة سـرية حديثـة تعـج بـالممرات والـدهاليز المليئـة بالسـلاح والقـوة والإصرار على المقاومة.

بـدأت قصـة الأنفـاق في قطـاع غـزة في تسـعينيات القـرن الماضـي، عنـدما واجهـت العـائلات القاطنـة علـى جـانبي الحـدود في مدينـة رفـح ظروفًـا اقتصـادية صـعبة. حينهـا، نشـأت فكـرة حفـر أنفـاق بدائيـة لا يتجـاوز طولهـا ٥٠ متـرًا، تحـت مراقبـة مكثفـة مـن الجنـود الـذين كـانوا يطوقـون قطـاع غـزة بالكامـل. في البدايـة، كانـت هـذه الأنفـاق تُسـتخدم لتهريـب المـواد الغذائيـة والضـروريات الأساسـية، إلـى جانـب الأسـلحة الخفيفـة عنـد الحاجـة. ثـم حـدث تحـول كبيـر في عـام ٢٠٠٠، وهـو العـام الـذي شـهد ولادة حقيقية لهذه الأنفاق كسلاح استراتيجي فاعل.

مـع انـدلاع انتفاضـة الأقصـى، رأت الفصـائل الفلسـطينية في الأنفـاق المحفـورة وسـيلة مثاليـة لتهريـب الأسـلحة وتطـوير قـدراتها العسـكرية. سـعت هـذه الفصـائل إلـى تعزيـز ترسـانتها المحليـة مـن خـلال الحصـول علـى بنـادق الكلاشـنكوف وقنابـل الـ آر بـي جي ورشاشـات الخزانـة. كانـت الأسـلحة تهـرّب عبـر طـرق معقـدة تبـدأ مـن الـيمن وإيـران،

مرورًا بمصر والسودان، وصولاً إلى رفح المصرية حيث كانت تنقل عبر الأنفاق إلى قطاع غزة.

بعد مرور عام على اندلاع انتفاضة الأقصى، في ٢٦ سبتمبر ٢٠٠١، شهد العالم استخدامًا غير مسبوق للأنفاق من قبل الفصائل الفلسطينية. شنت كتائب القسام هجومًا مفاجئًا على الجيش الإسرائيلي من خلال تفجير موقع عسكري في رفح جنوب قطاع غزة. كانت العملية بمثابة صدمة كبيرة لإسرائيل عندما اكتشفوا أن التفجير تم بواسطة نفق طوله ١٥٠ مترًا، استُخدم لزرع عبوات ناسفة تحت الموقع، مما نتج عنه مقتل خمسة جنود إسرائيليين وإصابة العديد منهم.

تمكنت الفصائل من تحويل الأنفاق إلى سلاح استراتيجي، إلا أن هذا النجاح لم يكن كافيًا لمنع النتائج الحتمية لهذا السلاح على الاحتلال.

استمرت المقاومة في غزة بتنفيذ عمليات نوعية باستخدام الأنفاق لاستهداف المواقع العسكرية الإسرائيلية ضمن حدود القطاع، الذي كان تحت السيطرة الكاملة آنذاك. من بين العمليات البارزة كانت تفجير موقع حردون في ٢٠٠٣، وموقع محفوظة، والسهم الثاقب، ومعبر رفح في ٢٠٠٤، مما أدى إلى مقتل ٢٣ جنديًا إسرائيليًا. هذه الخسائر دعت إسرائيل إلى الإسراع في تنفيذ خطة الانسحاب من قطاع غزة في ٢٠٠٥.

منذ تلك اللحظة، بقيت الأنفاق سلاحًا استراتيجيًا هامًا، ليس فقط لتهريب الأسلحة، بل لتنفيذ عمليات داخل الأراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨. تميزت هذه الفترة بظهور أنفاق تفاعلية اخترقت عمق الأراضي المحتلة، وقد بدأ تصميم هذه الأنفاق بعد أقل من عام على انسحاب إسرائيل من غزة.

في شهر يونيو من عام ٢٠٠٦، قامت الفصائل الفلسطينية بالإعلان عن عملية جريئة عبر خطوط جيش الاحتلال، مستهدفة موقع كرم أبو سالم داخل الأراضي المحتلة. تم تنفيذ العملية باستخدام نفق هجومي قبل الشروع في غارة على الموقع، مما أسفر عن مقتل جنود من جيش الاحتلال وأسر جندي ثالث يدعى جلعاد شاليط، الذي بقي في الأسر بغزة لمدة خمس سنوات قبل إطلاق سراحه في إطار صفقة تبادل أسرى بين إسرائيل والفصائل الفلسطينية.

بحلول يونيو ٢٠٠٧، بدأت السيطرة على قطاع غزة، وبدأت مظاهر الحياة تتراجع مع تصاعد الفقر والجوع بين السكان. عادت الأنفاق لتلعب دورًا حيويًا كوسيلة لتهريب المواد الغذائية والوقود والموارد المالية إلى القطاع المحاصر عبر الحدود مع مصر. أصبحت مدينة رفح مركزًا لهذه الأنفاق الحدودية، حيث بلغ عددها بالمئات بحلول عام ٢٠٠٩. ونظرًا لدورها في تخفيف آثار الحصار على غزة، سعى جيش الاحتلال الإسرائيلي لتدمير هذه الأنفاق، مبررًا ذلك بأنها تُستخدم لتهريب الأسلحة وليس الغذاء. ونتيجة لذلك، تكثفت الهجمات لتدمير الأنفاق بشكل كامل بين غزة ومصر.

خـلال عمليـة "الرصـاص المصـبوب" بـين عـامي ٢٠٠٨ و٢٠٠٩، لعبـت الأنفـاق دورًا محوريًـا في العمليـات العسـكرية. عـادت الأنفـاق للعمـل مـرة أخـرى، وزاد عـددها واتسعت مسـاحتها لتشـمل أنفاقًـا اسـتراتيجية، بالإضـافة إلـى الأنفـاق التجاريـة. تـم تشـكيل وحـدات متخصصـة في حفـر الأنفـاق، متضـمنة الأنفـاق الهجوميـة لاختـراق الحدود وشن هجمات خلف خطوط القوات الإسرائيلية.

لـم تقتصـر هـذه الأنفـاق علـى تسـلل المقـاتلين، بـل أصـبحت أيضًـا مواقـع لإطـلاق الصواريخ والقذائف.

أمـا الأنفـاق الدفاعيـة، فقـد اسـتخدمت داخـل المنـاطق الفلسـطينية لإعـداد الكمـائن ونقـل المقـاتلين بعيـدًا عـن أنظـار الطـائرات الإسـرائيلية. بينمـا تـم تحويـل النـوع الثالـث مـن الأنفـاق، وهـي الأنفـاق اللوجسـتية، إلـى غـرف قيـادة وسـيطرة لإدارة المعـارك وتوجيـه المقـاتلين، حيـث تُخـزن فيهـا الـذخائر والعتـاد العسـكري، وتحتـوي علـى غـرف للاتصـالات السـلكية للمقاومـة. ومـع تزايـد شـكوك إسـرائيل حـول وجـود هـذه الأنفاق، أصبحت قضية الأنفاق مصدر قلق كبير لها.

في عـام ٢٠١١، تعرضـت غـزة لسلسـلة مـن الغـارات الجويـة، ولكـن تلـك الهجمـات لـم تسـتطع أن تمنـع المفاجـآت والاضـطرابات التـي واجهـت الكيـان المحتـل. ففـي عـام ٢٠١٣، تـم اكتشـاف نفـق يمتـد مـن شـرق غـزة إلـى داخـل الأراضـي المحتلـة لمسـافة ٨٠٠ متر.

لكن ما أصاب الإسرائيليين بالذهول حقًا كان نفق عبسان، الذي بلغ عمقه ٢٠ مترًا وامتد طوله إلى ٢٥٠٠ متر. هذا النفق لم يكن مجرد ممر تحت الأرض، فقد تم تجهيزه بشبكة اتصالات وكهرباء، وكلف الفلسطينيون ٨٠٠ يورو فقط لرصفه، فيما قدرت السلطات الإسرائيلية تكلفة إنشاء مثل هذا النفق بحوالي ١٠ ملايين دولار.

في مواجهة هذا التحدي، قررت إسرائيل إرسال وحدة عسكرية كاملة لاختراق القطاع بهدف تحديد موقع النفق وتدميره، مما أدى إلى اشتباكات عنيفة مع مقاتلي الفصائل الفلسطينية، نتج عنها مقتل ضابط إسرائيلي واستشهاد ثلاثة فلسطينيين.

صرحت إسرائيل بأن الحصار ومنع دخول مواد البناء والخرسانة إلى غزة لم ينجح في وقف حفر الأنفاق وتطويرها. عملية التخلص من التربة الناتجة عن الحفر بقيت لغزًا محيرًا للإسرائيليين، لم يتمكنوا من حله حتى الآن. استمرت المواجهة مع الأنفاق في عام ٢٠١٤، في عملية أطلق عليها الإسرائيليون "الجرف الصامد"، بينما سمتها حماس "العصف المأكول" والجهاد الإسلامي "البنيان المرصوص". أجبرت هذه العملية إسرائيل على الاعتراف بأن الأنفاق تشكل تحديًا لقواتها، حيث نجح المقاتلون الفلسطينيون في تنفيذ عمليات أشبه بمشاهد سينمائية، حيث يظهرون من فتحات الأنفاق لمهاجمة المواقع الإسرائيلية ثم يختفون وكأنهم لم يكونوا موجودين.

هـذه العمليـات، التـي أطلـق عليهـا الإسـرائيليون "معـارك الأشـباح"، أوقعـت ٧٢ قتـيلًا إسـرائيليًا، وامتـدت العمليـة لــ ٥٢ يومًـا. اسـتخدمت الأنفـاق الهجوميـة لإحـداث مفاجـآت في مواقـع مثـل ناحـل العـوز وصـوفا وأبـو مطيـق وموقـع ١٦ العسـكري، كمـا أُطلقـت صـواريخ علـى تـل أبيـب والقـدس وحيفـا، ممـا أجبـر ملايـين الإسـرائيليين علـى الاحتماء في الملاجئ.

في عـام ٢٠١٦، شـرعت إسـرائيل في بنـاء جـدار فـولاذي يمتـد علـى مسـافة ٦٥ كيلـومترًا وبارتفـاع ٦ أمتـار فـوق الأرض، بالإضـافة إلـى جـدار خرسـاني تحـت الأرض لكشـف الأنفـاق، مـدعومًا بشـبكة رادارات وأبـراج مراقبـة مـزودة برشاشـات ثقيلـة يـتم الـتحكم فيهـا عـن بعـد. كلفـت هـذه الإجـراءات نحـو مليـار دولار واسـتغرقت ثـلاث سـنوات ونصـف. ومـع اكتمـال الجـدار الفاصـل، وضـع حـاجز حديـدي بـين سـكان الجنـوب والقطـاع. لكـن في السـابع مـن أكتـوبر ٢٠٢٣، وجهـت الفصـائل الفلسـطينية ضـربة جديـدة للجـدار، منتظـرين أي غـزو بـري إسـرائيلي، لتؤكـد أن مدينـة الأنفـاق تحت غزة هي الأسطورة الحقيقية التي بُنيت بإرادة لا تعترف بالقيود.

# يحيى السنوار

## بين النضال والسياسة

حياة يحيى السنوار واحدة من القصص التي تجسد الصمود والإصرار في مواجهة التحديات. يُعتبر السنوار من الشخصيات البارزة في الساحة الفلسطينية، إذ يتمتع بتاريخ طويل في النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي، ويمثل رمزا للمقاومة الفلسطينية. في هذا المقال، سنستعرض حياة يحيى السنوار منذ نشأته وحتى دوره الحالي في قيادة حركة حماس.

وُلد يحيى السنوار في مدينة خان يونس بقطاع غزة في عام ١٩٦٢. نشأ في بيئة مليئة بالتحديات والصعوبات، حيث كان الاحتلال الإسرائيلي يسيطر على معظم جوانب الحياة. هذه الظروف الصعبة أسهمت في تشكيل وعيه الوطني والسياسي منذ الصغر، مما دفعه للانخراط في الحركات الوطنية الفلسطينية.

انضم السنوار في شبابه إلى حركة حماس التي تأسست في أواخر الثمانينيات، وبدأ في المشاركة في الأنشطة المناهضة للاحتلال. تميز بقدرته على التنظيم والقيادة، مما جعله يتبوأ مراكز قيادية في الحركة بسرعة. عُرف عنه شجاعته وإصراره على تحقيق الأهداف الوطنية، مما جعله هدفًا دائمًا للسلطات الإسرائيلية.

في عام ١٩٨٨، تم اعتقال السنوار من قبل السلطات الإسرائيلية وحُكم عليه بالسجن مدى الحياة بتهمة المشاركة في عمليات ضد الاحتلال. قضى السنوار أكثر من عقدين في السجن، حيث أصبح رمزًا للمقاومة والصمود. خلال فترة اعتقاله، واصل السنوار تعليمه الذاتي وأصبح مؤثرًا بين زملائه الأسرى، حيث كان يعمل على تعزيز الروح المعنوية وتنمية الوعي السياسي.

في عام ٢٠١١، تم الإفراج عن السنوار ضمن صفقة تبادل الأسرى بين حماس وإسرائيل، والتي عُرفت بصفقة شاليط. عاد السنوار إلى غزة ليجد نفسه في وضع سياسي معقد، حيث كانت الحركة تواجه تحديات كبيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي. تولى السنوار مناصب قيادية داخل الحركة، وفي عام ٢٠١٧، أصبح رئيس المكتب السياسي لحماس في قطاع غزة، حيث عمل على تعزيز قدرات الحركة وتطوير استراتيجياتها.

تحت قيادة السنوار، شهدت حماس تطورات سياسية وعسكرية ملحوظة. عمل على تعزيز العلاقات الداخلية للحركة وتوحيد صفوفها في مواجهة التحديات. كما لعب دورًا هامًا في تحسين العلاقات مع الأطراف الإقليمية والدولية. ومع ذلك، يواجه السنوار تحديات كبيرة، بما في ذلك الحصار المفروض على غزة والضغوط الدولية المتزايدة.

في الثامن عشر من أكتوبر ٢٠٢٤، نفذت القوات الإسرائيلية عملية عسكرية في منطقة تل السلطان بمدينة رفح بجنوب قطاع غزة. وقد أُعلن خلالها عن مقتل السنوار. لم تكن العملية مخصصة لاعتقال السنوار، بل جاءت ضمن إطار عملية تمشيط روتينية. لكن، الاشتباه بتواجده في المنطقة أدى إلى وقوع اشتباك مسلح مع القوات الإسرائيلية.

أعلنت إسرائيل تأكيد مقتله بعد إجراء فحوصات الحمض النووي ومطابقة سجلات الأسنان. وأظهرت مقاطع فيديو نُشرت اللحظات الأخيرة من حياته، حيث بدا وهو يحاول إسقاط طائرة مسيرة بعصا، مما يعكس إصراره وشجاعته حتى اللحظة الأخيرة.

في المشهد الأخير، ظهر السنوار كبطل يقاتل الطائرة بعصاه، مما أثار العديد من التساؤلات التي قد تكون ذات فائدة. يجب علينا تحليل الأحداث بدقة:

هل تمكنت إسرائيل حقًا من الوصول إليه؟

وهل كان ذلك عن طريق الصدفة كما يُقال، أم أن الاستخبارات قد لعبت دوراً في الأمر؟

ما العلاقة بين السنوار والتوراة والقصة؟

بعد مقتله، هل أصبحت الحرب أكثر تعقيداً، أم أن احتمالات السلام أصبحت أكثر وضوحًا؟

ما هي حكاية قطع إصبعه والسلك الذي كان على يده؟

لماذا تم تجريده من زيه العسكري؟

وهل للصور التي التقطت قبل وبعد وفاته أي دلالة؟

وما هي الأهمية الكامنة فيها؟

من المهم أيضًا الحديث عن المسدس الذي وُجد بحوزته وأغراضه الشخصية. لنبدأ بفحص الأسئلة المتعلقة بما إذا كانت هذه عملية استخباراتية أم مجرد مصادفة. وفقًا للرواية الإسرائيلية، الأمر لا يتعدى كونه حظًا سعيداً بالنسبة لهم، وحظًا سيئًا للسنوار، حيث ظهرت وحدة من جنود الاحتلال في المنطقة للتمشيط. وعند رؤيتهم لثلاثة رجال مسلحين يتحركون بين المنازل، بدأوا بإطلاق النار، مما أدى إلى اشتباكات عنيفة قبل أن يقرر الجنود تدمير المبنى باستخدام قذيفة مدفعية وإرسال طائرة بدون طيار، والتي نقلت صورة السنوار بعد مقتله.

لننتقل الآن إلى سردية أخرى ونقارن بين الروايات المختلفة. وفقًا لما نقلته إذاعة الجيش الإسرائيلي، يزعم مسؤولون أمنيون أن قوات الجيش لم تكن في المنطقة صدفة، حيث أن الشاباك كان لديه معلومات استخباراتية تشير إلى أن كبار

مسؤولي حماس، ومن بينهم السنوار، كانوا مختبئين في تلك المنطقة، بناءً على معلومات قدمها عملاء الشاباك الموجودون في غزة..

من الواضح أن إسرائيل كانت تمارس ضغوطًا عسكرية على المنطقة التي اعتقدت يقينًا أن يحيى السنوار كان يتواجد فيها، مما أدى إلى وقوع خطأ قاتل. فيما يتعلق بعملية الاشتباك والتصفية، كانت حدثًا عرضيًا نفذته قوة مشاة تابعة للجيش الإسرائيلي دون مشاركة وحدات خاصة أو توجيه استخباراتي محدد في تلك اللحظة.

يثار هنا سؤال مهم:

لماذا تأكدت إسرائيل منذ البداية أن الأمر كان مجرد مصادفة؟

يقدم المحللون تفسيرين محتملين.

الأول هو حماية عملائها داخل الأراضي الفلسطينية، حيث أن تقديم العملية كحادث عرضي يمكن أن يشتت انتباه حماس عن تحقيق داخلي محتمل عن وجود جاسوس.

والسبب الثاني، حسب المحللين، هو أن إسرائيل، التي ترتبط هذه الحرب بمعتقداتها الدينية، تسعى لتصوير نفسها كقوة مباركة، وهو ما عبر عنه وزير الدفاع الإسرائيلي عندما أشار إلى مقتل السنوار مستشهداً بآية توراتية.

ننتقل إلى سؤال آخر:

هل اقتربت نهاية السنوار؟

هل الحرب على وشك الانتهاء أم أنها تتفاقم؟

وفقًا لمراكز الأبحاث، رغم الفرح الذي عم إسرائيل وتوقعات بعض القادة الدوليين بأن مقتل السنوار قد يفتح الباب لإعادة المعتقلين وإنهاء الحرب، إلا أن الأمر ليس بهذه البساطة. السنوار كان جزءًا من حركة متطرفة مدعومة من إيران، وهذا ما دفع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو إلى دعوة مسلحي حماس لتسليم الرهائن مقابل الحفاظ على حياتهم.

ومع ذلك، أكد نتنياهو أن مقتل السنوار لا يعني نهاية الحرب، وهو ما يتفق معه المحللون الذين يرون أن تأثير إيران على حماس في غزة سيظل قويًا، بغض النظر عمن يخلف السنوار. حماس دائمًا ما كانت تجد زعيمًا جديدًا يتولى القيادة بعد مقتل سلفه، وغالبًا ما يكون أكثر تطرفًا.

بالنسبة للصور والفيديوهات التي نشرتها إسرائيل، فإنها أثارت العديد من الأسئلة حول مصداقية الرواية الرسمية. الفيديو الأول الذي صُوِّر بطائرة بدون طيار يظهر شخصًا ملثمًا قيل إنه السنوار، جالسًا على أريكة في مبنى مدمر، وقد رمى عصا نحو الطائرة. ومع ذلك، ظهرت تقارير تشير إلى أن الجثة التي عُثِر عليها لم تكن في نفس المكان، وأنها تعرضت للتشويه. هذه التناقضات تثير تساؤلات حول حقيقة

ما حدث، وما إذا كان السنوار قد تعرض للتعذيب قبل وفاته أو أُعدم بعد القبض عليه. تظل هذه الأسئلة بلا إجابة واضحة حتى الآن، لكنها تشير إلى تناقضات في الرواية الإسرائيلية الرسمية.

عند وفاته، برزت قصة ممتلكات السنوار التي تمت مصادرتها.

وفقًا لتقارير وسائل الإعلام العبرية، كان المسدس الذي عُثر عليه بجانبه يعود إلى ضابط إسرائيلي قُتل في خان يونس عام ٢٠١٨، وهو المقدم محمود خير الدين، الذي كان جزءاً من وحدة العمليات الخاصة في خان يونس. أثناء الاشتباك مع حماس، قُتل الضابط بطريق الخطأ على يد زملائه. ومنذ ذلك الحين، احتفظ السنوار بالمسدس لأسباب غير معروفة.

بالإضافة إلى المسدس، كان السنوار يمتلك أشياء أخرى تلقي الضوء على جزء من الأحداث، مثل مسبحة وكتيب للأذكار ومقص للأظافر ومبلغ من المال وأوراق هوية، إضافة إلى بندقية وسترة واقية من الرصاص ومخزنين فقط من الذخيرة. يُشير ذلك إلى أنه استخدم ثلاث مخازن ذخيرة خلال المعركة الأخيرة قبل وفاته، مع نفاد جميع القنابل التي كان يحملها، مما يعكس تفاصيل مشهد درامي للمعركة في اللحظات الأخيرة من حياة السنوار.

# إبراهيم رئيسي

إبـراهيم رئيسـي، الـذي يبلـغ مـن العمـر ٦٣ عامـًا، تـولى رئاسـة إيـران منـذ يونيـو ٢٠٢١. يُعتبـر رئيسـي جـزءاً مـن التيـار المحـافظ، وقـد شـغل في السـابق منصـب رئـيس السـلطة القضـائية في الـبلاد. يُنظـر إليـه باعتبـاره أحـد تلاميـذ المرشـد الأعلـى الإيـراني علـي خـامنئي، ويشـير بعـض المحللـين إلـى احتمـال أن يخلـف خـامنئي بعـد وفاتـه أو تنحيه عن منصبه.

وُلـد سـيد إبـراهيم رئـيس السـاداتي، المعـروف بـإبراهيم رئيسـي، في ١٤ ديسـمبر ١٩٦٠ في حـي نوغـان القـديم بمدينـة مشـهد، عاصـمة محافظـة خراسـان رضـوي. كـان والـده رجـل ديـن مـن منطقـة دشـتك في زابـل بمحافظـة سيسـتان وبلوشسـتان، وقـد عـاش في مشهد حتى وفاته عندما كان إبراهيم في الخامسة من عمره.

التحـق رئيسـي بـالحوزة الدينيـة في قـم قبـل الثـورة الإسـلامية بفتـرة قصيرة، إذ كـان يبلـغ الخامسـة عشـرة مـن عمـره آنـذاك. درس العلـوم الدينيـة علـى يـد علمـاء بـارزين مثـل علـي مشـكيني، وحسـين نـوري همـداني، ومحمـد فاضـل لنكـراني، وأبـو القاسـم الخزعلي، ومحمود هاشمي شهرودي.

متزوج من ابنة رجل الدين المتشدد أحمد علم الهدى، إمام جمعة مدينة مشهد. زوجته، جميلة علم الهدى، حاصلة على دكتوراه من جامعة تربية المدرسين، وتعمل أستاذة في العلوم التربوية بجامعة بهشتي في طهران، ولديهما ابنتان وحفيدان.

بدأ رئيسي مسيرته المهنية في عام ١٩٨٠ عندما عُيّن مدعيًا عامًا لمدينة كرج وهو في العشرين من عمره فقط. بعد بضعة أشهر، تولى نفس المنصب في مدينة كرج غرب طهران. في عام ١٩٨٢، احتفظ بمنصبه السابق وعينه مدعي عام الثورة، آية الله قدوسي، كمدعٍ عام لمدينة همدان. شغل هذا المنصب حتى عام ١٩٨٤، وفي عام ١٩٨٥ أصبح نائب المدعي العام في طهران، حيث بقي حتى عام ١٩٩٠ قبل أن يُعين مدعيًا عامًا لطهران بأمر من رئيس السلطة القضائية آنذاك، محمد يزدي.

في عام ١٩٨٨، برز كشخصية بارزة عندما أصبح عضواً في "لجنة الموت"، وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره. ساهم في اتخاذ قرارات حاسمة أفضت إلى إعدام آلاف السجناء السياسيين. في نفس العام، أصدر المرشد الأعلى للنظام، الخميني، بقرار منفصل عن السلطة القضائية، ثلاثة أحكام خاصة لمعالجة "المشاكل القضائية" في محافظات مثل لورستان وكرمانشاه وسمنان. ونتيجة لذلك، تم تكليفه وحاكم الشرع حسين علي نيّري بملفات قضائية بارزة.

خلال صيف ١٩٨٨، لعب رئيسي دورًا محوريًا في الإعدامات الجماعية للسجناء، حيث أصدرت اللجنة التي أُنشئت بتوجيه من الخميني، والمعروفة بـ"لجنة الموت"، أحكامًا بالإعدام على آلاف السجناء السياسيين. كانت غالبية هؤلاء من أعضاء مجاهدي خلق والجماعات اليسارية، وقد صدرت بحقهم أحكام بالإعدام بينما كانوا يقضون عقوبات سابقة، وكان العديد منهم على وشك الإفراج عنهم بعد انقضاء مدة عقوبتهم.

في عام ٢٠١٧، نشر الموقع الرسمي لحسن علي منتظري، نائب المرشد الأعلى السابق، تسجيلًا صوتيًا يندد فيه بعمليات الإعدام الجماعية، واصفًا إياها بأنها "أعظم جريمة في تاريخ الجمهورية الإسلامية". أدلى منتظري بهذه التصريحات أمام أعضاء "لجنة الموت"، بمن فيهم إبراهيم رئيسي.

استمر رئيسي في منصبه كمدعي عام طهران حتى عام ١٩٩٤، ثم عُين رئيسًا للمفتشية العامة لمدة عشر سنوات بقرار من هاشمي شاهرودي. وفي عهد صادق لاريجاني كرئيس للسلطة القضائية، شغل رئيسي منصب النائب الأول له من ٢٠٠٤ إلى ٢٠١٤. بحلول عام ٢٠١٤، أصبح مدعي عام إيران، وعينه خامنئي لاحقًا خلفًا لواعظي طبسي كمسؤول عن أحد أهم المراكز الدينية والاقتصادية، التي تمتلك أصولاً ضخمة تشمل عقارات وفنادق وشركات صناعية وزراعية.

في عـام ٢٠١٨، أصبح رئيسًا للسلطة القضائية خلفًا للاريجاني، ولـم يتنحَ عـن منصبه رغـم ترشـحه للانتخابـات الرئاسـية. خـلال هـذه الفتـرة، شـغل أيضًـا مناصـب مثـل المـدعي العـام الخـاص لمحكمـة رجـال الـدين، وعضـو المجلـس المركـزي لجمعيـة رجـال الـدين المناضـلين، وعضـو مجمـع تشـخيص مصـلحة النظـام. ومنـذ عـام ٢٠٠٦، كـان عضـوًا في مجلـس خبـراء القيـادة، حيـث يشـغل منصـب النائـب الأول للرئيس، ويُعتبر أحد المرشحين المحتملين لمنصب الولي الفقيه بعد خامنئي.

كـان مرشـح المحـافظين الـرئيس في الانتخابـات الرئاسـية لعـام ٢٠١٧، لكنـه خسـر أمـام حسـن روحـاني. وأثيـر خـلال تلـك الانتخابـات دوره في مجـزرة عـام ١٩٨٨. ترشـح مـرة أخـرى للانتخابـات الرئاسـية وفـاز بهـا في عـام ٢٠٢١، علـى الـرغم مـن أن الانتخابـات شـهدت أدنـى نسـبة مشـاركة في تـاريخ إيـران. وقـد فرضـت الولايـات المتحـدة عقوبـات عليـه بسـبب تورطـه في الإعـدامات الجماعيـة للسـجناء السياسـيين عام ١٩٨٨، في نهاية الحرب الإيرانية العراقية.

## وفاته

بعـد مضـي سـت عشـرة سـاعة مـن البحـث المكثـف، انتهـت الأحـداث بمقتـل الـرئيس ومرافقيـه. كـان الـرئيس علـى مـتن مروحيـة ترافقهـا اثنتـان أخريـان، وهـو في طريـق العـودة مـن زيـارة رسـمية لافتتـاح سـد في أذربيجـان. كـانوا يتبـادلون الحـديث في

الأجواء الودية، وكان برفقته وزير الخارجية حسين أمير عبد اللهيان، دون أن يدركوا أن هذه اللحظات كانت الأخيرة قبل وقوع الكارثة.

جاء المشهد الأخير ليحبس أنفاس العالم، حيث بدأت التكهنات حول أسباب تحطم الطائرة أو ربما إسقاطها، ومعالجة المعلومات والظروف المحيطة بالحادث بمختلف السيناريوهات.

تشير تحليلات أولية إلى أن الظروف الجوية الصعبة والضباب الكثيف في المنطقة حيث سقطت الطائرة قد تشير إلى خطأ بشري من الطيار الذي لم يتمكن من رؤية العوائق أمامه. بالإضافة إلى ذلك، كانت الطائرة من طراز بيل أمريكي ٤١٢ كيه، وهو طراز يعاني من نقص قطع الغيار بسبب العقوبات الأمريكية على إيران، مما يثير تساؤلات حول مدى صلاحية الطائرة للطيران.

هذه العوامل قد تبدو لبعض المراقبين كافية لنفي أي نظرية مؤامرة تشير إلى تورط أطراف خارجية في الحادث.

ومع ذلك، هناك معطيات أخرى قد تستبعد تأثير العوامل الجوية أو الحالة الفنية للطائرة، مثل وصول المروحيتين المرافقتين بسلام، وعدم إرسال الطيار أو مساعده أي نداء استغاثة عند وقوع الحادث. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك ارتباك في الإعلام الرسمي الإيراني في التعامل مع الأخبار، حيث تباينت الروايات بين تأكيد سلامة الرئيس وتواصل مع الطاقم، إلى حين تم نفي الأخبار وحذفها. وعند

وصول فرق الإنقاذ إلى مكان الحادث، وُجدت الطائرة محترقة بالكامل وجميع من كانوا على متنها متفحمين، مما يشير إلى عدم وجود اتصالات جرت أو أي ناجين من الحادث.

كل هذه العوامل تفتح باب التحليل والتدقيق داخل الأروقة السياسية في إيران حول كيفية تقديم حادث تحطم طائرة الرجل الذي لم يكن فقط رئيسًا، بل كان أيضًا مرشحًا لخلافة المرشد الأعلى في البلاد.

وقع الحادث في وقت حساس حيث ازدادت التوترات بشكل كبير بين طهران وتل أبيب، نتيجة للحملة العسكرية التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة، والتي تخللتها عمليات اغتيال استهدفت مسؤولين في الحرس الثوري الإيراني. جاء الرد الإيراني عبر هجوم صاروخي يعد الأول من نوعه ضد إسرائيل. ما يضفي على الموضوع مزيدًا من التعقيد هو وقوع الحادث بالقرب من الحدود الأذربيجانية، حيث تتمتع أذربيجان بعلاقات ممتازة مع إسرائيل.

ولا يمكن إغفال حقيقة أن اسم الرئيس الإيراني مدرج في القائمة السوداء الأمريكية، بصفته متهمًا بالتواطؤ في انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان. وفي سياق متصل، انتشرت شائعات حول تحليق طائرة أمريكية في موقع سقوط الطائرة قبل مغادرتها نحو إسرائيل، وهو ادعاء تم نفيه بسرعة. لذا، ما هي تفاصيل الحادث وما

هـي السـيناريوهات المحتملـة لسـقوط الطـائرة؟ وهـل يعـد الحـادث نتيجـة لعمليـة اغتيال متعمدة أم مجرد حادث عرضي؟

قبـل المضـي قـدمًا في تحليـل هـذه السـيناريوهات، يجـب الإشـارة إلى أنهـا تعتمـد علـى الاسـتدلال والتحليـل المنطقـي، ولا يمكـن الجـزم بـأي منهـا بشـكل قـاطع. نبـدأ بالسيناريو الأول الذي يرجح سقوط المروحية نتيجة لحادث عرضي.

في هـذا السـياق، يمكـن القـول إن العوامـل المرتبطـة بظـروف الرؤيـة أثنـاء المهمـة الجويـة، بالإضـافة إلى الأعطـال الفنيـة المحتملـة وعـدم قـدرة الطيـار علـى التعامـل مـع الظـروف الطارئـة للطـائرة، قـد سـاهمت جميعهـا في وقـوع حـادث الاصـطدام وبالتـالي سـقوط المروحيـة. يُعتبـر عامـل الرؤيـة وكفـاءة الطيـار مـن العوامـل الأساسـية في هـذا السيناريو.

وإذا اتفقنـا علـى أن قائـد طـائرة بمسـتوى رئاسـي يفتـرض أن يكـون عـالي المهـارة، فـإن هـذا الطيـار كـان يجـب عليـه اتخـاذ قـرار بشـأن إمكانيـة الهبـوط الاضـطراري أو عدمـه. يبدو أن الطائرتين الأخريين قد هبطتا قبله لتأمين موقع هبوط آمن لطائرة الرئيس.

تعـذر علـى الطيـار تحديـد المسـار الصـحيح للهبـوط بسـبب الضـباب الكثيـف وتضـاريس المنطقـة الـوعرة والمليئـة بالأشـجار. أدى ذلـك إلـى قـرار الطيـار بـالتخلي عـن محاولـة الهبـوط والعـودة إلـى نقطـة الانطـلاق. ولكـن الأمـور لـم تسـر كمـا هـو

مخطط لها، حيث اصطدمت الطائرة بجرف أو أشجار، مما أدى إلى تحطمها واشتعال النيران فيها.

هذا الحادث أثار التكهنات حول إمكانية وجود مؤامرة للقتل والاختيال، خاصة مع نجاة الطائرتين الأخريين وعدم إرسال أي إشارة استغاثة، إضافة إلى وقوع الحادث بالقرب من الحدود الأذربيجانية، الحليفة لإسرائيل، مما فتح الباب أمام عدة سيناريوهات محتملة.

السيناريو الأول يتحدث عن احتمال تعاون بين إسرائيل وأذربيجان لتدبير حادثة الطائرة، نظرًا للعلاقات القوية بين البلدين. إلا أن هذا السيناريو يبدو مستبعدًا بسبب المصالح المشتركة والمعقدة بين أذربيجان وإيران، حيث لن تخاطر أذربيجان بإشعال حرب مع جارتها القوية.

السيناريو الثاني يقترح أن إسرائيل قد تكون دبرت الحادثة بمفردها، مستفيدة من قدرتها على التحرك بحرية في أراضي أذربيجان. إلا أن هذا الاحتمال يبدو ضعيفًا، خاصة بعد فقدان إسرائيل للدعم العالمي إثر حربها على غزة، ما يجعلها تتجنب الدخول في مواجهات جديدة قد تجرها إلى صراعات إضافية، مثل تلك التي حدثت عند قصف السفارة الإيرانية في دمشق.

أما السيناريو المتعلق بتورط الولايات المتحدة فهو أيضًا يُستبعد من قبل العديد من المحللين، حيث أن العلاقات بين واشنطن وطهران، رغم مرورها بأزمات، لم

تصل إلى حد استهداف قادة سياسيين، بل تركزت عمليات الولايات المتحدة على الشخصيات العسكرية.

في خضم هذه الاحتمالات، يبقى سيناريو الصراعات الداخلية في إيران الأقرب للتصديق. فقد يكون هناك أطراف غير راضية عن تقارب الرئيس إبراهيم رئيسي مع المرشد الأعلى علي خامنئي، خاصة مع التوقعات حول خلافته له كمرشد أعلى. ومن بين اللاعبين الرئيسيين في هذا الصراع، يأتي مجتبى خامنئي، الذي تشير التقارير الاستخباراتية إلى استعداده لفعل أي شيء ليخلف والده في منصب المرشد الأعلى. هذا العداء بين محور مجتبى ومحور رئيسي قد يكون دافعًا محتملاً وراء الحادثة.

وبعيدًا عن هذه السيناريوهات، لا تقتصر قائمة أعداء رئيسي على الدوائر الحكومية فقط، فهو يشتهر بلقب "قاضي الإعدامات" بعد ثورة ١٩٧٩، وقد أصدر أحكامًا بالإعدام على عدد كبير من المعارضين، ما يوسّع دائرة مستهدفيه حتى من خارج السلطة.

# الصراع الإيراني الإسرائيلي

في ظـل تصـاعد التـوترات الإقليميـة، شـهدت المنطقـة عمليـة عسـكرية معقـدة في ١٥ أكتـوبر ٢٠٢٤. في هـذا اليـوم، أقلعـت مجموعـة مـن الطـائرات الحربيـة المتطـورة، بمـا في ذلــك طــراز F16 – F15 – F35 ، مــن قواعــدها في إســرائيل. عبــرت هــذه الطـائرات الأجـواء السـورية والعراقيـة متجهـة نحـو إيـران، حيـث نفـذت ضـربات جويـة دقيقـة اسـتهدفت مواقـع عسـكرية محـددة. أثنـاء مسـارها، قصـفت الطـائرات مواقـع مرتبطـة بـإيران وميليشـياتها في سـوريا والعـراق، قبـل أن تواصـل مهمتهـا فـوق الأجـواء الإيرانية وتعود إلى قواعدها بسلام.

قبـل تنفيـذ الهجـوم، في ١٢ أكتـوبر ٢٠٢٤، قامـت إسـرائيل بـإبلاغ الجانـب الإيـراني بتفاصـيل الضـربة عبـر وسـيط أجنبـي، وفقًـا لتقـارير وسـائل الإعـلام العبريـة. كمـا أفــادت تقــارير مــن روســيا في ١٣ أكتــوبر ٢٠٢٤ بــأن موســكو زودت طهــران بمعلومـات حـول الأهـداف المحتملـة للهجـوم الإسـرائيلي. في هـذا السـياق، ذكـر الأمريكيـون في ١٤ أكتـوبر ٢٠٢٤ تواصـلهم مـع إيـران بشـكل غيـر مباشـر لترتيـب وتنسيـق الملفـات الإقليميـة، ممـا يشـير إلـى أن الضـربة الإسـرائيلية كانـت جـزءًا مـن رؤية أمريكية أوسع للمنطقة.

استمر هذا النزاع لأكثر من عام منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، حيث كان رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، ملتزمًا بتوجيهات الولايات المتحدة الهادفة إلى إنهاء الصراع قبل الانتخابات الرئاسية الأمريكية المقررة في نوفمبر ٢٠٢٤، التي قد تشهد تغيرات جذرية على الساحة الدولية.

من ناحية أخرى، استغلت إيران الضربة إعلاميًا، حيث أظهرت وسائل الإعلام العبرية نتنياهو في صورة الزعيم الذي لم يحقق سوى ضربة رمزية. أرادت إسرائيل من هذا الهجوم إرسال رسالة مفادها قدرتها على الوصول إلى العمق الإيراني وضرب أهداف حيوية، وكذلك قدرتها على تدمير الدفاعات الجوية الإيرانية وضرب أهداف في مختلف أنحاء إيران في وقت واحد.

كانت الرسالة المشتركة بين الطرفين للعالم واضحة: نحن في حالة تنافس، ولكننا لا نسعى للحرب. فإيران لا ترغب في تدمير إسرائيل، وإسرائيل لا تهدف إلى تغيير النظام في طهران، بل هي شعارات يستخدمها الجانبان لتحقيق مصالحهما الخاصة، بينما يتحمل العرب الثمن الباهظ لهذه الصراعات.

في ١٦ أكتوبر ٢٠٢٤، أكدت روسيا على دورها المحوري من خلال تحالفها مع إيران، حيث وفرت لها أنظمة دفاع جوي وامدتها بالمعلومات الاستخباراتية، مما يشير إلى أن من يحظى بدعم موسكو يكون في مأمن من التهديدات. وهكذا، يغادر الجميع المسرح راضين بما أحرزوه من مكاسب، بينما تبقى الحسابات الإسرائيلية

مـع بقيـة الأطـراف العربيـة في المنطقـة مفتوحـة، وقـد تشـمل المرحلـة القادمـة تصـعيدًا في غـزة أو جنـوب لبنـان ضـمن سـياق متفـق عليـه دوليًـا، في إطـار لعبـة معقـدة مـن التحالفات والمصالح المشتركة.

في العاصـمة الإيرانيـة طهـران، كـان الوضـع يشـكل تهديـدًا واضـحًا في المنطقـة. كانـت الشـعارات التـي تُـروج تُسـتخدم كوسـيلة لتوجيـه الرسـائل إلـى العـالم العربـي، وقـد اسـتغلت طهـران هـذه الشـعارات لتوسـيع نفوذهـا في المنطقـة. منـذ عـام ٢٠٠٣، بعـد سـقوط نظـام صـدام حسـين في العـراق، بـدأت إيـران بسـط سـيطرتها في أربـع دول عربيـة، مستغلة شـعارات مثـل "الطريـق إلـى القـدس" و"يـوم التحريـر الموعـود". هـذا التوسـع جـذب ولاء العديـد مـن العـرب، بمـا فـيهم الميليشـيات المسـلحة، الـذين أصـبحوا يشـكلون جـزءًا مـن القـوة العسـكرية الإيرانيـة، كمـا كـان الحـال مـع حـزب الله في لبنـان منذ عام ٢٠٠٦.

علـى الجانـب الآخـر، تمكـن النظـام الإيـراني مـن إقنـاع بعـض الأنظمـة العربيـة بقبـول نفـوذه تحـت دعـوى أنـه القـادر علـى احتـواء طموحـات طهـران، وذلـك مـن خـلال التـرويج لشـعارات التغييـر. وبهـذه الطريقـة، اسـتطاعت كـل مـن إسـرائيل وإيـران تحقيـق مكاسـب خاصـة. ففـي عـام ٢٠١٥، وقعـت القـوى الغربيـة الاتفـاق النـووي مـع إيـران، ممـا أعطـى لطهـران الفرصـة لتعزيـز نفوذهـا الإقليمـي بينمـا تحمـل العـرب وحـدهم العواقـب. لـم يقتصـر دورهـم علـى المشـاهدة والتصـفيق؛ بـل تجـاوز بعضـهم

ذلك إلى المشاركة الفعلية في هذا الصراع، الذي جلب لهم ولشعوبهم الكثير من المعاناة والدمار بسبب النزاع على النفوذ بين طهران وتل أبيب.

في هذه الأثناء، توفر طهران الذرائع لإسرائيل، مما يتيح لها الفرصة للتدخل والتخريب في المنطقة. فالخسائر لم تكن تطال إيران أو إسرائيل، بل كانت مقتصرة على الأراضي العربية التي تحولت إلى ساحات للمعارك وتصفية الحسابات. على سبيل المثال، في الصراع السوري الذي بدأ عام ٢٠١١، كانت سوريا ساحة مفتوحة للصراع بين القوى الإقليمية والدولية، حيث العرب وحدهم كانوا يدفعون الثمن، وكانت الجنازات تتوالى بالآلاف، وملايين النازحين يتناثرون بلا هدف في صراع لا ناقة لهم فيه ولا جمل، صراع محوره النفوذ والهيمنة.

مع مرور الوقت، ظهرت مؤشرات عديدة على أن الستار قد أسدل على هذا الصراع، خاصة بعد الضربات الإسرائيلية الأخيرة في عام ٢٠٢٤ والتصريحات الإيرانية غير الرسمية التي أشارت إلى أن طهران قد لا ترد على تلك الضربات، حيث لم تتضرر المرافق الحيوية مثل المنشآت النفطية والمحطات النووية. في الوقت ذاته، عبرت واشنطن عن اعتقادها بأن ما حدث يشير إلى نهاية الحرب الطويلة في الشرق الأوسط، والتي حان الوقت لوضع حد لها.

أما روسيا، اللاعب الجديد على الساحة منذ تدخلها العسكري في سوريا عام ٢٠١٥، فقد أكدت موقفها من خلال تحالفها المثمر مع إيران، والذي جلب لها

الكثير من الفوائد. كانت روسيا هي من نبهت الإيرانيين إلى المواقع المحتملة للضربات، ووفرت لهم أنظمة دفاع جوي، مما يعني أن من تتبناه روسيا لن يمسه الضرر.

غادر الجميع مسرورين، باستثناء العرب الذين تبقى لهم تسوية الحسابات مع الإسرائيليين في محيطهم، سواء في غزة أو جنوب لبنان. ربما سامحت طهران إسرائيل ضمن صفقة ما، مما يتيح لها استرجاع ما فقدته لتحقيق النصر الذي تسعى إليه أمام جمهورها. هذه المعركة قد تبدو مسرحية بحتة، لكنها تتكشف على مراحل مكتوبة بعناية، حيث يُطلب من جميع الأطراف دفع الثمن.

# القواعد العسكرية الإسرائيلية

عملية "الوعد الصادق" التي أضافت تعقيدات جديدة للمشهد العسكري. هذه العملية التي استهدفت البنية التحتية العسكرية الإسرائيلية من خلال صواريخ إيرانية متطورة، أحدثت اهتزازات في منظومات الدفاع الإسرائيلية، ونتج عنها أضرار جسيمة في المنشآت والأقمار الصناعية، مما أربك الاتصالات وأحدث تأثيرًا كبيرًا على الشبكة العنكبوتية بفعل الأضرار الواسعة التي خلفتها.

انهيارًا تدريجيًا في التحصينات الإسرائيلية.

مع تصاعد العمليات التي تشمل هجمات صاروخية وضربات بواسطة طائرات مسيرة، منذ تاريخ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣. هذه المعلومات باتت متاحة لإيران، ما سهّل على الفصائل الفلسطينية وحزب الله والحوثيين الوصول إلى القواعد الجوية الإسرائيلية. استطاعت هذه الأطراف فهم مسارات الدفاع الإسرائيلية واستغلالها لصالحها، مما أدى إلى تسريب تعليمات حساسة لم تفلت من الضربات الأميركية.

في شـمال إسـرائيل، تـم تصـوير الأهـداف بواسـطة تقنيـات متقدمـة، وتـم تنفيـذ ضـربات صاروخية دقيقة استهدفت مواقع استراتيجية.

تـأتي هـذه العمليـات كجـزء مـن ردود فعـل انتقاميـة للاغتيـالات التـي طالـت قـادة بـارزين مثـل إسـماعيل هنيـة وحسـن نصـر الله، تحـت مسـمى "الوعـد الصـادق"، في ضربة تهدف إلى زعزعة الاستقرار الأمني الإسرائيلي.

قاعـدة تـل نـوف وقاعـدة نيفـاتيم، وهمـا مـن الأهـم والأقـدم في السـلاح الجـوي الإسـرائيلي، تعرضـتا لضـربات قويـة، ممـا أدى إلـى تفعيـل صـفارات الإنـذار في معظـم أنحـاء الـبلاد. هـذه الأحـداث تشـير إلـى تحـول القواعـد العسـكرية السـرية إلـى أهـداف بـارزة في الصـراع الـدائر، ممـا يعكـس التحـديات الأمنيـة الجديـدة التـي تواجههـا إسرائيل في ظل تصاعد التوترات الإقليمية.

الجيش الإسـرائيلي يعلـن عـن امتلاكـه لقواعـد جويـة، ولكـن الوثـائق المسـربة تكشـف عـن حقيقـة مفاجئـة: وجـود قواعـد سـرية إضـافية يسـتخدمها سـلاح الجـو الإسـرائيلي وتحـاول تـل أبيـب التستر عليهـا. يـتم ذلـك مـن خـلال تحويلهـا إلـى أراضٍ زراعيـة أو صـحراوية وهميـة أو بتمويههـا بمسـاحات بيضـاء أو سـوداء لإخفـاء مواقعهـا عـن الأعـداء. هـذه القواعـد تتعـدى مهـام الاسـتطلاع والتجسـس، حيـث تعتـرض الطـائرات والصـواريخ المعاديـة، وتـوفر الـدعم الجـوي للقـوات البريـة والبحريـة، بالإضـافة إلـى

كونهـا مصـدرًا مهمًـا للمعلومـات الاسـتخباراتية والمشـاركة في تنفيـذ هجمـات علـى مختلف الجبهات.

تعـود بعـض هـذه القواعـد إلـى مـا قبـل تأسـيس إسـرائيل؛ إذ أنشـأ الجـيش البريطـاني خـلال فتـرة الانتـداب قواعـد لسـلاحه الجـوي. وعنـد قيـام الدولـة العبريـة عـام ١٩٤٨، وضـعت القـوات الجويـة الإسـرائيلية يـدها علـى قواعـد مثـل رمـات ديفيـد وحـد سـور وتـل نـوف. ثـم أنشـأت تـل أبيـب قواعـد جديـدة في السـتينيات والسـبعينيات بمسـاعدة الولايات المتحدة التي لعبت دورًا محوريًا في إنشائها بأحدث الأساليب العسكرية.

## قاعدة بمخيم:

ليست مجرد منشأة عسكرية، بل هي قاعدة جوية ومطار عسكري ووكالة فضاء، وهي الوحيدة في إسرائيل التي تشمل تخصصات متعددة وتنفذ فيها مهام ذات أهمية بالغة تحت غطاء من السرية. تم اختيار موقعها الجغرافي بعناية فائقة نظرًا لأهميته الاستراتيجية، حيث تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط الذي يحدها من الناحية الغربية.

من الشرق، يحد قاعدة بمخيم مدينة يبنا، ومن الجنوب مدينة أسدود، بينما تقع مستوطنة ريشون لتسيون على جانبها الشمالي. سُميت القاعدة تيمنًا بكيبوتس "بالمخيم" الذي أنشأته حركة تاكوم الإسرائيلية على أنقاض قرية النبي روبين الفلسطينية. بُنيت القاعدة في السبعينيات، وأصبحت لاحقًا من أهم القواعد العسكرية الإسرائيلية، حيث تحتوي على نظام "حيتس" المضاد للصواريخ الباليستية، وتُعد مقراً دائمًا لمجموعة من أسراب طائرات سلاح الجو الإسرائيلي، كما تضم قاعدة رئيسية للمروحيات وميدانًا لإطلاق المدفعية.

تشمل القاعدة وحدة لاختبار الصواريخ وهي مركز لوحدات إسرائيلية خاصة مثل وحدة "شداج" والوحدة ٦٦٩ ووحدة الاستخبارات الخاصة. تُعتبر القاعدة المركز الرئيسي لمنظومة الطائرات المسيرة الإسرائيلية، وتضم كلية التدريب الخاصة بالطائرات دون طيار التي تُدرب أفراد الجيش على التعامل مع المسيرات.

# قاعدة تل نوف

إحدى القواعد التي أنشأتها بريطانيا في عام ١٩٣٩ في مدينة الرملة، ثم انتقلت ملكيتها إلى إسرائيل. تُعتبر مدينة عسكرية متكاملة، حيث إنها واحدة من ثلاث قواعد رئيسية لسلاح الجو الإسرائيلي، وتُعد المركز التشغيلي والتدريبي الأساسي لجميع قوات المظليين في الجيش. تحتوي القاعدة على سرب طائرات دون طيار من طراز "هيرون تي بي إي ١٠" الألمانية، وفق اتفاقية عسكرية بين البلدين، ويُعتقد أن القاعدة تحتوي أيضاً على مستودعات لإخفاء القنابل النووية الإسرائيلية المخصصة للطائرات الهجومية.

تضم القاعدة ثلاثة مدارج وعدد من الأسراب التشغيلية، من بينها سرب طائرات "إف ١٥" وسرب طائرات "يسعور"، بالإضافة إلى الوحدة ٥٥٥ الخاصة بالحرب الإلكترونية المحمولة جواً عبر طائرة "سي ١٣٠". تعرضت القاعدة لقصف عنيف وانفجارات هائلة بعد استهدافها بصواريخ إيرانية في الأول من أكتوبر ٢٠٢٤.

اعترفت تل أبيب بتعرض عدد من قواعدها لأضرار جراء القصف الأخير، لكنها لجأت إلى استخدام تقنيات السحابة الرقمية لإخفاء صور الدمار عن الخرائط لمنع الكشف عن حجم الضرر الفعلي الذي لحق بها.

# قاعدة حد سريم

تقع قاعدة "حد سريم" في صحراء النقب، غرب مدينة بئر السبع، وقد أُسست في بداية الستينيات من القرن الماضي. وفقًا لموقع "جلوبال سكيورتي"، تضم القاعدة أكاديمية الطيران التابعة لسلاح الجو الإسرائيلي بالإضافة إلى متحف القوة الجوية. يعتقد معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام أن "حد سريم" قد تكون موقعًا لتخزين الأسلحة النووية في إسرائيل.

تضم القاعدة مجموعة من الأسراب، بما في ذلك سرب طائرات "إف ١٦" وسرب طائرات "إف ١٥" وسرب طائرات تدريبية "إم ٣٤٦ لافي"، وتحتوي على أربعة مدارج. تستخدم الأسراب النظامية المدرجين الجنوبيين، بينما خصص الآخران لمدرسة الطيران. تعرضت القاعدة للقصف من الفصائل الفلسطينية عدة مرات في معركتي "سيف القدس" عام ٢٠٢١ و"طوفان الأقصى" عام ٢٠٢٣، كما تعرضت لقصف إيراني صاروخي باليستي في عملية "الوعد الصادق".

# قاعدة حتسور

قاعـدة "حتسـور"، فتقـع في وسـط إسـرائيل شـرق جنـوب مدينـة "آز"، بـالقرب مـن ساحل البحر الأبيض المتوسط. تُعد واحدة من أنشط القواعد الجوية الإسرائيلية، حيث تقوم بمهام متعددة تشمل الدفاع والهجوم والاعتراض وجمع المعلومات الاستخباراتية. تحتوي القاعدة على ثلاثة مدارج نشطة وأقدم برج لمراقبة الحركة الجوية في البلاد، وتضم مجموعة من الأسراب، منها سرب لجمع المعلومات الاستخباراتية وأسراب مختلفة من الطائرات المسيرة.

شُيدت قاعدة "حتسور" في عام ١٩٤٢ كقاعدة لسلاح الجو البريطاني، وكانت تُعرف باسم "كاستينا"، ثم سُلمت لسلاح الجو الإسرائيلي في نوفمبر.

في عام ١٩٤٨، أُنشئت قاعدة "حتسور"، وفي عام ٢٠١١، تم بناء مركز عمليات مشترك للجيش الأمريكي والإسرائيلي فيها. تعرضت هذه القاعدة لقصف متكرر من الفصائل الفلسطينية في غزة وحزب الله اللبناني خلال معركة "طوفان الأقصى".

# قاعدة رامون

قاعدة "رامون"، فتحتوي على قوة جوية كبيرة تشمل المقاتلات "سوفا إف ١٦١" والمروحيات الهجومية من طراز "أباتشي". كما تمتلك منظومة دفاعية قوية ومعدات وصواريخ مضادة للدبابات، وتضم مقر مدرسة الطيران "ميتار" ومواقع للتدريب. تقع القاعدة في صحراء النقب، وكانت تُعرف سابقًا باسم "مدريد". تم تطويرها ضمن إطار اتفاق السلام بين مصر وإسرائيل، حيث تعهدت أمريكا بالمساعدة في بناء قواعد جوية حديثة في صحراء النقب لنقل القواعد الإسرائيلية من سيناء إليها.

بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٨، تولت القوات الجوية الأمريكية إدارة وتمويل المشروع، وقام فيلق المهندسين بالجيش الأمريكي بتصميم والإشراف على البناء الذي اكتمل في عام ١٩٨١. في سبتمبر ٢٠٠٧، نفذت أربع طائرات من القاعدة هجومًا على مفاعل نووي في سوريا، منها اثنتان من السرب ١١٩ واثنتان من السرب ٢٥٣. خلال معركة "طوفان الأقصى"، تعرضت القاعدة لقصف متكرر من الفصائل الفلسطينية بصواريخ محلية ومن الحرس الثوري الإيراني بصواريخ باليستية.

# قاعدة راما ديفيد

قاعدة "راما ديفيد" تُعد من أهم القواعد التي ورثتها إسرائيل عن بريطانيا، والتي أُنشئت عام ١٩٤٢ في شمالي إسرائيل. تُعتبر "راما ديفيد" من أخطر القواعد العسكرية لدى تل أبيب، فهي الأكبر في المنطقة الشمالية وواحدة من ثلاث قواعد جوية رئيسية في إسرائيل. تحتوي على ثلاثة مدارج، يبلغ طول أحدها ٢٤٤٠ مترًا، أما الآخران فيبلغ طولهما ٢٧٥٠ مترًا.

تحتل موقعًا استراتيجيًا بالقرب من خطوط المواجهة الإسرائيلية مع لبنان وسوريا والضفة الغربية. تضم القاعدة أسرابًا من طائرات "إف ١٦" وأنواع أخرى من المقاتلات والطائرات دون طيار والمروحيات، وتحتوي على حظائر طائرات تحت الأرض.

القاعدة مجهزة بأحدث أنظمة الدفاع الجوي الإسرائيلية، بما في ذلك منظومة "باتريوت" الأمريكية و"السهم ٢" و"السهم ٣" إلى جانب "مقلاع داوود" و"القبة الحديدية"، التي تعتبر درع الحماية لإسرائيل. تُعد القاعدة ترسانة مذهلة للدفاع، وتنطلق منها غالبية العمليات العسكرية الجوية الإسرائيلية التي تستهدف سوريا ولبنان. كان لها نصيب كبير من القصف القادم من لبنان.

# قاعدة نفاتيم

قاعدة "نفاتيم" تُعد موطنًا لأكثر الطائرات تقدمًا في سلاح الجو الإسرائيلي، بما في ذلك مقاتلات الشبح F35 Lightning II التي تُنتجها واشنطن خصيصًا لإسرائيل. تقع القاعدة في صحراء النقب وتحتوي على مقر القيادة الجوية الاستراتيجية لسلاح الجو الإسرائيلي تحت الأرض، بالإضافة إلى كونها المقر الأساسي لطائرات "F35 ".

تحتوي القاعدة أيضًا على طائرات حديثة أخرى مثل طائرات الشبح وطائرات النقل العسكري ومعدات المراقبة الإلكترونية. تُعتبر القاعدة الرئيسية لطائرة الرئاسة الإسرائيلية. وقد أظهرت اللقطات الجوية أضرارًا بالغة لحقت بالقاعدة بعد تعرضها لوابل من الصواريخ الإيرانية في الأول من أكتوبر ٢٠٢٤، حيث أعلنت طهران أنها أطلقتها انتقامًا لاغتيال الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله ورئيس المكتب السياسي للفصائل الفلسطينية إسماعيل هنية في قلب طهران أواخر يوليو ٢٠٢٤.

# قاعدة ميرون

قاعدة "ميرون"، فيُطلق عليها "عين إسرائيل التي ترى كل شيء". في السنوات الأخيرة، ظهرت تقارير حول وجود قواعد عسكرية إسرائيلية متخصصة في جمع المعلومات الاستخباراتية ومراقبة الأجواء الإقليمية. تُعد قاعدة "ميرون"، الواقعة في شمال إسرائيل، واحدة من المراكز الرئيسة المتخصصة في عمليات التجسس والرصد الإلكتروني. تقع القاعدة على قمة جبل ميرون في مدينة صفد، حيث تحتل موقعًا استراتيجيًا يمكنها من التحكم في المجال الجوي في النصف الشمالي من إسرائيل، المطل على لبنان وسوريا وحتى قبرص والدول المجاورة الأخرى.

تعتمد القوات الإسرائيلية على هذه القاعدة لجمع المعلومات الحساسة باستخدام تقنيات متقدمة في التنصت والتجسس الإلكتروني، مما يسمح لها بمراقبة المجال الجوي لجيرانها وتحليل تحركات الطائرات العسكرية والمدنية، لتوفير إنذارات مبكرة لدعم الدفاع الجوي والعمليات المختلفة.

بجانب مهامها اليومية، يركز جنود الوحدة على التدريب استعدادًا لأي مواجهة محتملة على الجبهة الشمالية، مما يجعلهم دائمًا في حالة تأهب. وخلال شهور الحرب الماضية، كانت قاعدة "ميرون" في مرمى نيران حزب الله ردًا على اغتيال القيادي صالح العاروري في الضاحية الجنوبية بلبنان.

# قاعدة مجدو

قاعـدة "مجـدو" تعتبـر محـور العمليـات للطـائرات الخفيفـة والمروحيـات، وتحتـوي علـى نـادٍ للطيـران الشـراعي ومفـرزات مـن الوحـدة ٥٠٥. تمتـد مـدرجاتها بطـول ٢٣٥٠ متـرًا، وتقـع في وادي زرعـين غـرب مدينـة العفولـة شـمالي إسـرائيل. أُنشـئت القاعـدة عـام ١٩٤٢ علـى يـد الجيش البريطـاني قبـل أن تُسـلم إلـى تـل أبيـب، وكانـت بمثابة ساحة إضافية داعمة لقاعدة "رمات ديفيد" الاستراتيجية الشمالية.

تعرضـت القاعـدة لاسـتهداف مـن قبـل حـزب الله اللبنـاني عـدة مـرات خـلال معركـة "طوفـان الأقصـى"، وقبيـل اغتيـال حسـن نصـر الله، حيـث اسـتهدفها الحـزب بصـواريخ "فادي ١" و"فادي ٢".

# قاعدة عين شمير

قاعدة "عين شمير"، فتقع على بعد حوالي ٦ كيلومترات شرق مدينة الخضيرة، وتضم مطارًا عسكريًا لإسرائيل ومنصات للدفاع الجوي متعدد الطبقات مع منظومات مثل "حيتس"، "مقلاع داوود"، و"القبة الحديدية". تحتوي القاعدة على مقر لواء "مانشي" ومطار لتجارب الطائرات دون طيار الإسرائيلية مثل طائرات "هيرون". تُعتبر حصنًا استراتيجيًا مهمًا في إسرائيل، ورغم ذلك، تعرضت هذه القاعدة للاستهداف، كما تعرضت غيرها من القواعد الإسرائيلية، على الرغم من الجهود المكثفة التي تبذلها إسرائيل لإبقاء مواقعها سرية.

# الأمين العام لحزب الله السيد (حسن نصر الله)

ما الذي نعرفه عن هذا الشخصية الغامضة التي اعتادت العيش في الظلام لسنوات طويلة؟ يُنظر إلى نصر الله على أنه واحد من أكثر الشخصيات جدلًا في العالم العربي، حيث نجح في السيطرة على الساحة السياسية في لبنان خلال السنوات الأخيرة، وازدادت خصوماته الداخلية بقدر ما هي عليه في الخارج.

منذ حرب ٢٠٠٦ التي خاضها حزب الله ضد إسرائيل، تقلصت ظهوراته العلنية بشكل كبير، لكنه ظهر مجددًا في عام ٢٠١١ خلال مسيرة عاشوراء، حيث أظهر نفسه للجمهور لبضع دقائق قبل أن يتحدث إليهم عبر شاشة عملاقة، مؤكدًا أن المقاومة مستمرة وتزداد قوة يومًا بعد يوم.

أفاد مسؤولون وصحفيون التقوا به في السنوات الأخيرة بأنهم لم يعرفوا المكان الذي اقتيدوا إليه من قبل عناصر أمن الحزب وسط إجراءات أمنية مشددة وفي سيارات ذات نوافذ محجوبة. وعلى الرغم من التزامه بتدابير أمنية صارمة، إلا أن نصر الله يرفض وصف نفسه بالشخص المعزول.

ففي مقابلة نادرة مع صحيفة الأخبار اللبنانية عام ٢٠١٤، أوضح أن حركته الأمنية تهدف فقط إلى السرية لكنها لا تعيقه عن التواصل والحركة بفاعلية.

وخلال السنوات، التقطت له صور مع قادة مما يسمى محور المقاومة الذين يزورون لبنان، بينما يواصل مخاطبة جمهوره عبر الشاشة، حيث يتمتع بتأييد واسع من أنصاره الذين يهتفون له ويعبرون عن ولائهم.

يُعرف عن نصر الله ذكاؤه الحاد ومعرفته الواسعة في الشؤون الدينية والسياسية، بالإضافة إلى كونه خطيبًا بارعًا قادرًا على الحديث لوقت طويل دون تلعثم. بينما يصفه خصومه بأنه يتحدث بلغة التحدي ويستخدم خطابًا تحريضيًا تجاه معارضيه في الداخل اللبناني، يرى أنصاره فيه رمزًا لا يمس، حيث يحظى بشعبية كبيرة بين الشيعة، ويصعب على أي شخصية معارضة له أن تعبر عن رفضها في معاقل حزب الله.

ومع ذلك، خلال السنوات الأخيرة، ومع توسع نفوذ حزب الله ودوره العسكري في سوريا والعراق واليمن، بدأت شعبيته تتراجع في بعض الأوساط اللبنانية والعربية. فكثيرون يتهمونه بالسيطرة على القرار السياسي في لبنان واستخدام قوته العسكرية لتحقيق أجندات إيرانية، مما أثار موجة انتقادات داخلية وخارجية.

وُلد السيد حسن نصر الله في ٣١ أغسطس عام ١٩٦٠ في حي برج حمود الشعبي في لبنان، وهو واحد من تسعة أبناء لعائلة متواضعة نزحت من جنوب لبنان.

انضم نصر الله إلى عالم السياسة في سن مبكرة، حيث تلقى تعليمه الديني في حوزات النجف في العراق عام ١٩٧٨ . بعد ذلك، انضم إلى حركة أمل، ثم تركها مع مجموعة من زملائه لتأسيس حزب الله في عام ١٩٨٢ .

تطور نصر الله في المناصب القيادية حتى أصبح أمينًا عامًا للحزب بعد اغتيال عباس الموسوي في عام ١٩٩٢ .

تحت قيادته، تطور حزب الله ليصبح قوة عسكرية كبيرة تمتلك أسلحة متطورة، ويدعي أنها قادرة على توجيه ضربات مؤثرة لإسرائيل. يُقال إن حزب الله يضم حوالي ١٠٠,٠٠٠ مقاتل، ويُنظر إليه على أنه القوة الأساسية التي دفعت إسرائيل إلى الانسحاب من جنوب لبنان في عام ٢٠٠٠ .

ومع ذلك، تغيرت الأوضاع بعد انخراط الحزب في الحرب السورية والقتال في العراق واليمن، مما أثار غضب العديد من الشعوب العربية وحتى داخل لبنان. تعرض نصر الله لانتقادات واسعة بعد اتهامات لحزبه بعرقلة التحقيق في انفجار مرفأ بيروت في عام ٢٠٢٠ .

في أعقاب اندلاع الحرب في غزة بين إسرائيل وحركة حماس في السابع من أكتوبر، أعلن نصر الله جبهة دعم لغزة وحليفته حماس. تصاعدت التوترات بين حزب الله وإسرائيل، حيث نقلت إسرائيل تركيز عملياتها إلى الجبهة الشمالية.

في آخر خطاب له، أقر نصر الله بتلقي حزبه ضربة كبيرة بعد تفجير إسرائيل آلاف أجهزة الاتصال التابعة للحزب، واغتيال أبرز قياداته العسكرية في الضاحية، في عمليات غير مسبوقة في تاريخ حزب الله.

# الخسائر والدمار

الحرب الإسرائيلية على غزة، التي دامت عامـًا كاملاً وبدأت استجابةً لهجوم "حماس" في السابع من أكتوبر، أسفرت عن خسائر فادحة وضخمة بين الفلسطينيين، ونتج عنها دمار واسع في القطاع الساحلي المحاصر.

وفيما يلي تلخيص لبعض الأرقام التي تعكس حجم الخسائر والدمار، مستندة إلى بيانات من الحكومة الإسرائيلية، ووزارة الصحة في غزة، ووكالات الأمم المتحدة، كما أفادت وكالة "أسوشييتد برس":

الضحايا

- عدد الفلسطينيين الذين قتلوا في غزة: أكثر من ٤١,٠٠٠.

- عدد الجرحى الفلسطينيين: أكثر من ٩٦,٠٠٠.

- القتلى في إسرائيل: حوالي ١,٢٠٠.

- المحتجزون رهائن في غزة: ٢٥١.

- الرهائن الأحياء: ٦٦، منهم اثنان قبل ٧ أكتوبر.

- الأسرى الذين يُعتقد أنهم ماتوا: ٣٥، منهم اثنان قبل ٧ أكتوبر.

**الجنود والمسلحون**

- المسلحون من "حماس" الذين قُتلوا وفق الجيش الإسرائيلي: أكثر من ١٧,٠٠٠.

- الجنود الإسرائيليون الذين قتلوا منذ ٧ أكتوبر: أكثر من ٧٢٠.

- الصواريخ التي أُطلقت على إسرائيل من غزة منذ ٧ أكتوبر: أكثر من ٩,٥٠٠.

**النزوح**

- الفلسطينيون النازحون في غزة: حوالي ١,٩ مليون.

- نسبة النازحين من سكان غزة: حوالي ٩٠٪.

- الإسرائيليون النازحون بسبب الهجمات في ذروتها: أكثر من ٥٨,٠٠٠.

- الإسرائيليون النازحون حالياً من الجنوب: حوالي ٥,٣٠٠.

**الدمار في غزة**

- نسبة أراضي غزة تحت أوامر الإخلاء الإسرائيلية: حوالي ٩٠٪.

- المباني المتضررة: أكثر من ١٢٠,٠٠٠.

- الوحدات السكنية المتضررة أو المدمرة: أكثر من ٢١٥,٠٠٠.

- نسبة المباني المتضررة أو المدمرة: ٦٠٪.

- التكلفة الإجمالية المقدرة للأضرار في الأشهر الثلاثة الأولى من الحرب: ١٨,٥ مليار دولار.

الأضرار في البنية التحتية في غزة

- نسبة الطرق الرئيسية المتضررة أو المدمرة: أكثر من ٩٢٪.

- المرافق الصحية المتضررة أو المدمرة: أكثر من ٨٤٪.

- مرافق المياه والصرف الصحي المتضررة أو المدمرة: ٦٧٪.

- الكمية اليومية من المياه غير المعالجة المتدفقة إلى البحر: ٦٠,٠٠٠ متر مكعب.

- طول الشبكة الكهربائية المدمرة: ٥١٠ كيلومترات (٣٢٠ ميلاً).

# الخاتمة

"طوفان الأقصى" هو الاسم الذي اختارته حركة حماس لوصف العملية العسكرية التي نفذتها ضد الاحتلال الإسرائيلي في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٢٣، وهو اسم يليق بهذه العملية الباهرة.

في ذلك اليوم، أطلقت حماس عملية عسكرية قوية أثبتت قدرتها على تحطيم صفو "إسرائيل" وغرورها واستعلائها. هذا الطوفان المبارك لم يكن مجرد حدث محلي، بل كان صاعقًا أصاب العالم بالدهشة من أقصاه إلى أقصاه.

"الأقصى" الذي بارك الله حوله، أصبح رمزًا لهذا الحدث الكبير، يذكرنا جميعًا بأن المقدسات الدينية التي تحت سيطرة الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية، تواجه خطرًا حقيقيًا ليس فقط من التدنيس، بل أيضًا من الهدم والتدمير. خاصة أن القادة للحركة الصهيونية يعتقدون أن "دولة شعب الله المختار" لا تكتمل إلا بهدم المسجد الأقصى وبناء "الهيكل الثالث" مكانه.

ما نفذته حماس في ذلك اليوم لم يكن مفاجئًا لـ"إسرائيل" فحسب، بل كان صدمة كبيرة للعالم كله. فعمليات المقاومة السابقة كانت محدودة في نطاقها الجغرافي ونتائجها الفعلية، حيث لم تتجاوز خسائرها الأرواح الآحاد أو العشرات، وخسائرها المادية لم تكن كبيرة.

لذا، كان بمقدور "إسرائيل" التعايش مع هذا الكم المحدود من الخسائر، وحتى تكبد الجانب الفلسطيني خسائر أكبر. هذا ما أدى إلى إحساس راسخ لدى

"إسـرائيل" بقـدرتها علـى الاحتفـاظ بالأراضـي الفلسـطينية المحتلـة إلـى الأبـد، وقناعـة بأنهـا باتـت في مـأمن مـن أي ضـغوط خارجيـة تهـدف إلـى إجبارهـا علـى الانسـحاب. علـى الـرغم مـن أنهـا انسـحبت مـن قطـاع غـزة في عـام ٢٠٠٥ بسـبب ضـربات المقاومـة الفلسـطينية، إلا أن القطـاع لـم يتحـرر بالكامـل؛ لأن "إسـرائيل" اسـتمرت في الـتحكم في حياة ومصائر سكانه، من خلال فرض حصار خانق وشن حروب متكررة.

مـا حـدث في ذلـك اليـوم لـم يكـن مـن الأحـداث التـي اعتـدنا عليهـا، ولـذا سـيكون لـه تـداعيات كبيـرة. فالأوضـاع في المنطقـة بأكملهـا قـد تتغيـر تمامًـا بعـد هـذا الحـدث الكبير.

# المحتويات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة | ٣ |
| إسرائيل الكبرى | ٦ |
| خطة ينون | ١٧ |
| مؤتمر "كامبل بنرمان" | ٢٢ |
| النظام العالمي | ٢٦ |
| غزة | ٢٩ |
| الصدمة | ٣٤ |
| طوفان الأقصى | ٣٦ |
| مجزرة مستشفى المعمداني | ٦٠ |
| محور المقاومة | ٦٤ |
| أنفاق غزة | ٦٨ |
| يحيى السنوار | ٧٥ |
| إبراهيم رئيسي | ٨٢ |
| الصراع الإيراني الإسرائيلي | ٩١ |
| القواعد العسكرية الإسرائيلية | ٩٦ |
| السيد (حسن نصر الله) | ١٠٩ |
| الخسائر والدمار | ١١٣ |
| الخاتمة | ١١٦ |
| المحتويات | ١١٨ |